الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبو بكر بلقايد
UNIVERSITÉ DE TLEMCEN

كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب عربي

المـــــوضـــوع:

أدب الرحلة في الأدب الجزائري الحديث
لغته و خصائصه

إعداد الطالب (ة):
رحماني فايزة ايمان

إشـــراف:
أ.د/ محمد مهداوي

لجنة المناقشة		
أ.الدكتور	فارسي عبد الرحمن	رئيسا
أ.الدكتور	لطرش عبد الله	ممتحنا
أ.الدكتور	مهداوي محمد	مشرفا مقررا

العام الجامعي : 2017-2016/1439-1438

شكـر

في مثل هذه اللحظات يتوقف اليراع ليفكر قبل أن يخط الحروف ليجمعها في كلمات تتبعثر الأحرف وعبثا أن يحاول تجميعها في سطور، سطورا كثيرة تمر في الخيال ولا يبقى لنا في نهاية المطاف إلا قليلا من الذكريات وصور تجمعنا برفاق كانوا إلى جانبنا...

فواجب علينا شكرهم الشكر والعرفان إلى كل من أشعل شمعة في دروب عملنا وإلى من وقف على المنابر وأعطى من حصيلة فكره لينير دربنا إلى الأساتذة الكرام في كلية اللغات والأدب العربي ونتوجه بالشكر الجزيل إلى الأستاذ الدكتور محمد مهداوي الذي تفضل بإشراف على هذا البحث فجزاه الله عنا كل خير فله منا كل التقدير والاحترام.

وشكر موصول إلى أساتذتي الكرام للجنة المناقشة الدكتور عبد الرحمان فارسي والدكتور عبد الله لطرش اللذان تفضلا بقراءة هذا البحث وتقييمه.

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى الوالدين الكريمين حفظهما الله اللذان كانا حافزا لي على مواصلة دراستي.

الإهـــداء

بسم الله الرحمان الرحيم

((قل إعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون))

صدق الله العظيم

إلهي لا يطيب الليل إلا بشكرك ولا يطيب النهار إلا بطاعتك... ولا تطيب اللحظات إلا بذكرك... ولا تطيب الآخرة إلا بعفوك...ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك الله جل جلاله...إلى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة... ونصح الأمة... إلى نبي الرحمة ونور العالمين... سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

إلى من كلله الله بالهيبة والوقار...إلى من علمني العطاء بدون انتظار...إلى من أحمل اسمه بكل افتخار...أرجو من الله أن يمد في عمرك لترى ثمارا قد حان قطافها بعد طول انتظار وستبقى كلماتك نجوم أهتدي بها اليوم وفي الغد وإلى الأبد...

والدي العزيز

إلى ملاكي في الحياة...إلى معنى الحب وإلى معنى الحنان والتفاني...إلى بسمة الحياة وسر الوجود إلى من كان دعاءها سر نجاحي وحنانها بلسم جراحي إلى أغلى الحبايب..

أمي الحبيبة

إلى أختي التي لم تلدها أمي من تجلت بالإخاء وتميزت بالوفاء والعطاء إلى من كانت معي على طريق النجاح والخير... فيروز

مقدمة:

منذ دب الإنسان على هذه الأرض وهو يحاول اكتشاف ما يحيط به من أسرارها بقصد التعرف والسيطرة على ما يكتنفه من الحياة وباعتبار الرحلة مصدر حي من مصادر زيادة الخبرات. فإن الكثيرين يلجأون إليها من أجل تنمية قدراتهم الذاتية على مواجهة الحياة في مختلف الظروف. فهي فن أدبي مهم لاحتوائها على معلومات كثيرة مهمة للأدباء والمؤرخين وكذا للمتلقي المتعطش للمعرفة والمسامرة والتفاعل مع أحداثها، فهي سفر داخلي في فكر صاحبها ومعارفه وموقفه من الحياة والوجود ونظرته إلى الناس والمجتمع.

الرحلة من بين الأجناس الأدبية الأكثر ثراءا وغنى ومن أكثر تجارب العالم الخارجي تعقيدا لكنه حظي بدراسات قليلة إذا ما قورن بدراسات حول فنون أدبية أخرى.

إلا أن أدب الرحلة هو أدب بكر لم يحظ بعناية كافية لوجود مواد كثيرة تنافسه، فأدب الرحلة الجزائري خلال العصر الحديث عبارة عن رحلات مبعثرة في كتب أو مقالات، فلولا العزيمة لما استطاع الباحث الحصول عليها.

ولولا غنى فن الرحلة وأصالته لاندثر وغاب عن عيون الأجيال الحالية فالتهميش الذي لقيه هذا الفن الأدبي سبب من الأسباب التي حفزتني لاختيار هذا الموضوع الذي كان بعنوان "أدب الرحلة في الأدب الجزائري الحديث لغته وخصائصه" رحلة الإبراهيمي إلى باكستان أنموذجا مستعينة بنماذج من رحلات عربية باتجاه مدن وقرى متنوعة، وهنا يحق لنا أن نتساءل؟

- كيف ارتبط الأدب بالرحلة ؟
- ما مصير أدب الرحلة في الأدب الجزائري الحديث ؟
- كيف يمكننا الإلمام بهذا الأدب بعد التهميش الذي تعرض له ؟
- ما هي أبرز الرحلات التي خاضها رحالو القرن العشرين من خلال رحلاتهم ؟

خاصة وأننا وقفنا على رحلات عربية مشهورة كابن جبير وابن بطوطة.

وللإجابة على هذه الإشكالية المطروحة وغيرها فرضت علينا دراسة هذا الموضوع خطة بحث اشتملت على مقدمة ومدخل وثلاثة فصول وخاتمة احتوت على النتائج المتوصل إليها، ثم قائمة للمصادر والمراجع.

وضحنا في المدخل تعريف أدب الرحلة باعتباره فن أدبي ومنبع ثري لمختلف العلوم متجدد المضمون ومتنوع والذي ينحصر في ثلاثة أساليب: السرد، الوصف، والحوار وفي نهاية المدخل أبرزنا مصير أدب الرحلة في المجتمع الجزائري في العصر الحديث.

أما الفصل الأول فجاء تحت عنوان علاقة الأدب بالرحلة، تطرقنا فيه إلى ثلاثة مباحث بحيث أن المبحث الأول تحدثنا فيه عن أدب الرحلة عند العرب، والمبحث الثاني: أدب الرحلة عند الغرب، والمبحث الثالث: ارتباط الرحلة بالأدب.

ثم الفصل الثاني الذي عنونته بأدب الرحلة في الأدب العربي القديم والذي تضمن بدوره مبحثين، المبحث الأول عن رحلة ابن جبير، والمبحث الثاني عن رحلة ابن بطوطة.

أما الفصل الثالث والذي جاء تحت عنوان الرحلة في الأدب الجزائري الحديث والذي يتضمن في محتواه ثلاثة مباحث: المبحث الأول: الرحلة عند البشير الإبراهيمي والمبحث الثاني: الإبراهيمي واللغة العربية، والمبحث الثالث: خصائص ادب الرحلة عند الإبراهيمي من خلال رحلته الى باكستان.

ومن أهم المصادر التي اعتمدت عليها في إنجاز هذا البحث ما يلي:

- أحمد شوقي ضيف – الرحلات.
- فؤاد فنديل – أدب الرحلة في التراث العربي.
- الدكتور حسين محمد حسين – أدب الرحلة عند العرب.

- حسين محمد فهيم – أدب الرحلات.
- الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي – آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي.
- الدكتور سميرة أنساعد –كتاب الرحلة إلى المشرف في الأدب الجزائري.

بالإضافة إلى مجموعة من المقالات المنشورة في المجلات وبعض مذكرات استخرج والتي أفادتنا كثيرا في هذه الدراسة.

كما يجب التأكيد على أن القيام بعمل أكاديمي وتقديم بحث منهجي في أدب الرحلة ليس سهلا لذلك واجهتني صعوبات وعراقيل مختلفة كانت عائقا لي في هذا البحث نذكر منها نقص الدراسات التي تناولت موضوع أدب الرحلة في الأدب الجزائري الحديث وقلة المراجع.

وفيما يتعلق بالمنهج المعتمد في معالجة موضوع بحثي هذا فإني استعنت بالمنهج الوصفي والمنهج التاريخي .

وفي الأخير أتمنى من المولى عز وجل أن أكون قد وفقت في بحثي هذا كما أتوجه بالشكر إلى أستاذي الفاضل المشرف على هذا البحث الدكتور محمد مهداوي الذي كان لي ينبوعا ثرا من المعارف لا ينضب فدلني على عيونها، زيادة على رعايته لهذا البحث منذ نشأته كفكرة إلى أن أتت الفكرة أكلها بإذن ربها.

- رحماني فايزة إيمان

- تلمسان 2017/04/17

مدخل: أدب الرحلة المفهوم والدلالة

إن الرحلات من أهم الفنون الأدبية بحيث إنها تحوي بعض المعلومات المهمة التي لا يمكن الاستغناء عنها لأحد من الأدباء والمؤرخين وغيرهم، فمطالعتها لازمة لكل من يود الكتابة أو الدراسة عن إحدى الفترات التي كتبت فيها تلك الرحلات، فإن أدب الرحلة يمثل جوانب مهمة من جوانب الحياة العربية والإسلامية في مختلف نواحيها سواء في ذلك الجانب السياسي والاجتماعي والديني والفكري وأيضا الأدبي، وقد برز كثير من الرحالة العرب وقاموا برحلات طويلة وألفوا كثيرا من الكتب، صوروا فيها ما شاهدوه في هذه الرحلات وصوروا مشاعرهم وآرائهم وكانت هذه الكتب وثائق هامة تصور الحياة في تلك الأزمان.

((هي منابع ثرية لمختلف العلوم، يمكن أن يقال عنها أنها بحر من المعارف والاكتشاف وسجل حقيقي لمظاهر الحياة المختلفة ومفاهيم أهلها على مر العصور)).[1]

أدب الرحلة يحفل بكثير من الأساطير والخرافات، وبعض المحسنات البلاغية، وجمال اللفظ، وحسن التعبير، وارتقاء الوصف وبلوغه حدا كبيرا من الدقة، علاوة على ما يستعين به أحيانا من أسلوب قصصي، سلس، مشرق وهذا ما يجعل بعض الدارسين يدخلون أدب الرحلات ضمن فنون الأدب العربي.[2]

ومن أبرز ما يميز أدب الرحلات هو تنوع في الأسلوب من السرد القصصي إلى الحوار إلى الوصف وغيره، ولكن أبرز أسلوب الكتابة القصصي المعتمد على السرد المشوق بما يقدمه من متعة ذهنية

---

[1]فردوس أحمد بت، أهمية أدب الرحلات من الناحية الأدبية، مجلة اللغة، الكتاب الثاني، العدد الثاني، يناير مارس 1437هـ/2016، ص26.

[2]سيد أحمد النساخ، مشوار كتب الرحلة قديما وحديثا، الناشر مكتبة غريب، دار غريب للطباعة، ص08.

كبرى، مما حدا إلى اعتبار أدب الرحلة بأنه: خير رد على التهمة التي طالما أتهم بها الأدب العربي، تهمة قصوره في فن القصة.[1]

نجد أدب الرحلات: (Barrel littérature) :في معجم المصطلحات العربية لمجدي وهبة ((هو مجموعة من الآثار الأدبية التي تتناول انطباعات المؤلف عن رحلاته في بلاد مختلفة، وقد يتعرض فيها لوصف ما يراه من عادات وسلوك وأخلاق، ولتسجيل دقيق للمناظر الطبيعية التي يشاهدها، أو يسرد مراحل رحلته مرحلة بمرحلة أو يجمع بين كل هذا في آن واحد)).

اشتهر العرب بأدب الرحلات ومن أهمها رحلة ابن بطوطة 770هـ ،ويعتبر أدب الرحلات إلى جانب قيمته الترفيهية أو الأدبية أحيانا. مصدرا هاما للدراسات التاريخية المقارنة وذلك خاصة بالنسبة للعصور الوسطى، كما أن علماء الأدب المقارن اعتبروه قسما من أقسام هذا الأدب في تصنيفه الحديث.[2]

((إذ يعرف بأنه ذلك النثر الذي يصف الرحلة، ورحلات واقعية، قام بها رحال متميز، موازنا بين الذات والموضوع، من خلال مضمون وشكل مرنين، بهدف التواصل مع القارئ والتأثير فيه)).[3]

أو كما يقال: ((أدب الرحلة فن من فنون القول العربي، يصف مجالات الحياة عند الرحالة الذي سجل رحلته، أو حكاها لغيره ثم سجلها)).[4]

---

[1]أحمد شوقي ضيف، دار المعارف مصر، الطبعة الرابعة، ص06.

[2]مجدي وهبة، معجم المصطلحات العربية ي اللغة والأدب، كامل المهندس للناشر مكتبة لبنان، الطبعة الثانية 1984م، ص17.

[3]د. ناصر عبد الرزاق الموافي، الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، دار النشر للجامعات المصرية، مكتبة الوفاء، الطبعة الأولى 1415هـ/1995م، ص41.

[4]أسماء أبو بكر، ابن بطوطة: الرجل والرحلة، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت 1992، ص11.

أفاد أدب الرحلة بغنى موضوعاته في صرف أصحابه في غالب الأحيان عن اللهو والعبث اللفظي والتكلف في تزويق العبارة، إيثارا للتعبير السهل المؤدي لغرض نضجه بغنى تجربة صاحبه، مما يفتقده كثير من الأدباء في بعض عصورنا الأدبية.[1]

فأدب الرحلات هو ما يمكن أن يوصف بأدب الرحلات الواقعية وهي الرحلة التي يقوم بها الكاتب إلى بلد من بلاد العالم، ويدون وصفا لها، يسجل فيه مشاهداته وانطباعاته بدرجة من الدقة والصدق وجمال الأسلوب... وهناك صفتان عامتان لابد من توافرهما في أدب الرحلات وهما:

أولا: أن يكون من يكتب عن الرحلات رحالا بطبعه محبا للرحلات.

ثانيا: أن يكتب بالأسلوب الذي يجعل وصفه للرحلة يعكس روح الرحلة، والرغبة الشديدة التي تتملكه للقيام بها.

وهكذا يمكن القول بأن طرفي هذا النوع من الأدب هما الموضوع أو الرحلة ذاتها من ناحية وشخصية الرحال من ناحية أخرى... ولعل خير أمثلة أدب الرحلات هو ما يكشف عن شخصية الرحال في مركز الانتباه، وفي الطرف الآخر تقع الرحلة الجافة التي تحمل أثرا لشخصية صاحبها وتفقد الشخصية المميزة، بعد أن تصبح مجموعة من الحقائق العارية من السمة الإنسانية التي تميز العمل الأدبي.[2]

أدب الرحلات ذو قيمة عالية، فهو نوع قائم بذاته، وأساس هذا النوع هو شخص المؤلف وأنيته، ووصفه مما يعرض له في سفره، وذكر الإحساسات التي يشعر بها أمام المناظر التي يمر بها، مع إطلاعنا على أحوال البلاد التي يزورها.

---

[1] فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، للناشر، مكتبة الدار العربية للكتاب، الطبعة الثانية، ص24.

[2] د. ناصر عبد الرزاق الموافي، الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، دار النشر للجامعات المصرية، مكتبة الوفاء، الطبعة الأولى 1415هـ/1995م، ص38-39.

وعلى عوائد أهلها وأخلاقهم وأفكارهم، وهو في كل هذا يعبر عن نفسه وعن عواطفه، وعن وجهة نظره الخاصة في كل مسألة.[1]

أدب الرحلة عمل فني، والمتوقع أن يمتزج فيه الواقع بالخيال بيد أن دور الخيال يكون ضئيلا وله وظائف محددة.

إن أدب الرحلات بناءا على ذلك المزج بين الواقع والخيال، يقوم على أسس ثلاثة هامة:

أولا: تشكل الرحلة الواقعية المعاشة نواة المؤلف الأدبي.

ثانيا: يضاف إلى ذلك المؤشرات السابقة كالقراءات السابقة في كتب الرحلات والخبرات السابقة.

ثالثا: وبالإضافة إلى ذلك لا يجب إهمال دور الخيال.[2]

لقد كانت شخصية الرحال المستقلة سببا في ثراء أدب الرحلة من حيث المضمون والشكل، فأدرك كل من تعرض لهذا النوع بالدراسة على أن الكتابة في هذا النوع صعبة فصاحب معجم مصطلحات الأدب مجدي وهبة : يسلم بأن ((الرحلات دونت بأساليب مختلفة، مما أوضح أنه ليس هناك دليل على سهولة التناول، وباحث آخر يذهب إلى أن هذا النوع صعب التناول رغم أنه شائق لدى القارئ وهو ليس سهلا وهينا ولكنه فن صعب للغاية، فلم يتفق الرحالون ولا النقاد على شكل معين، فضلا

[1] د. ناصر عبد الرزاق الموافي، الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، دار النشر للجامعات المصرية، مكتبة الوفاء، الطبعة الأولى 1415هـ/1995م، ص 39-40.

[2] المصدر نفسه، ص 41-42.

عن مضمون معين، يمكن احتذاؤه، ومن هنا فكل محاولة لدراسة هذا النوع الأدبي لابد أن تصطدم بعقبة، عدم فهم حقيقي لهذا النوع)).[1]

ومنه أدب الرحلة وعاء لكل مضمون، وهو لا يفرق بين مضمون خسيس وآخر شريف، أو بين مضمون مهم وآخر تافه، كل مضمون قابل للتدوين طالما قبله ذوق الرحال واقتنع به، وعليه يمكن القول بأن مضمون الرحلة هو مضمون الحياة، غير أن طوابع مضمونية بعينها يكاد الرحالون يجمعون عليها، فقد تستوفي جميعها في عمل واحد، وقد يتناول بعضها دون بعض، بينما يركز رحالون على واحد منها، وهي عديدة، منها: الطابع الوثائقي والفردي والإنساني والجمالي وغيرها...[2]

المضمون المتجدد لأدب الرحلة في حاجة لأشكال جديدة تواكبه، لذا كان تجدد المضمون مقرونا، دوما بتجديد في الشكل، حتى انه ليمكن القول بأن للرحلة أشكالا بعدد نصوصها، وفي هذا التوجه يتفق أدب الرحلة مع الرأي النقدي الذي يعترف بأن: كل تشبث متزمت بمنهج فني محدد، أيا كان هذا المنهج، يتناقض مع مهمة خلق الجديد في أشكال جديدة.

وعليه يخرج أدب الرحلة عن كونه فوضى مطلقة ليصبح فوضى منظمة، المهم أنه يجب الاعتراف بأن شيئا من الفوضى المنهجية مازال وسيظل يسوده.[3]

إذ يتسم أدب الرحلات بتنوع في الأسلوب، من السرد القصصي إلى الحوار إلى الوصف وغيره، فخصائص النثر أهلته لأن يكون أداة أدب الرحلة، ووظيفته تتفق ووظيفة أدب الرحلة.[4]

---

[1] د. ناصر عبد الرزاق الموافي، الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، دار النشر للجامعات المصرية، مكتبة الوفاء، الطبعة الأولى 1415هـ/1995م، ص47.

[2] المصدر نفسه، ص 48.

[3] د. ناصر عبد الرزاق الموافي، الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، ص59.

[4] المصدر نفسه، ص 78-79.

وعليه ارتبط ظهور نماذج جديدة من أدب الرحلات بإدراك أصحابها لقيمة الرحلة بكل تفاصيلها كحدث لا يستحق التسجيل، ومن ثم توزيع اهتماماتهم بين جانبي الإمتاع والتعلم دون فصل بينهما.

فالواضح أن أدب الرحلة لم يكن نوعا أدبيا معروفا أو مهما وإلا لتغير الحال، ولقى من اهتمام النقاد والقراء الشيء الكثير.

الظاهرة اللافتة في نماذج أدب الرحلات المعروفة لنا أنها غير مستقلة بذاتها في كتب وأن معظمها قصير الحجم ومن ثم لم تتح الفرصة للرحال بسبب هذا القصر للتعبير عن ذاته جيدا.[1]

ويعرف بأنه: جنس أدبي له من الصفات والخصائص ما يكفي لتمييزه عن الأجناس الأدبية، كونه خطاب مخصوص له منطقه الذاتي وبناؤه ومكوناته وعناصره، يجمع بين الإفادة عندما يخبرنا عما يراه، والامتناع لما يرصد لنا ما هو عجيب.

الأمر الذي يجعل الرحالة يتقمص شخصية السارد أو القاص.[2]

أما تفرد كل رحلة بشخصية مستقلة لأن من قام بها إنسان متميز في مكان متميز وفي ظروف خاصة، ولقد كانت هذه الشخصية المستقلة سببا في إثراء أدب الرحلة من حيث المضمون والشكل، يقول أحد الباحثين بأن هذا النوع من الأدب صعب التناول، رغم أنه شائق لدى القارئ، وهو ليس سهلا ولا هينا، ولكنه فن صعب للغاية.[3]

---

[1] المصدر نفسه، ص 209.

[2] سعيد بن سعيد العلوي، أوروبا في مرآة الرحلة، صورة في أدب الرحلة المغربية المعاصرة، منشورات كلية الأدب بالرباط الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، الطبعة الأولى 1415هـ/1995م، ص14.

[3] د. ناصر عبد الرزاق الموافي، الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، دار النشر للجامعات المصري، مكتبة الوفاء، الطبعة الأولى 1415هـ/1995م، ص47.

أفاد أدب الرحلة بغنى موضوعاته، في صرف أصحابه في غالب الأحيان، عن اللهو والعبث اللفظي والتكلف في تزويق العبارة، إيثارا للتعبير السهل المؤدي للغرض نضجه بغنى تجربة صاحبه، مما يفتقده كثير من الأدباء والمحترفين في بعض عصورنا الأدبية. ولا يعني هذا أن الأسلوب في هذا الأدب قد تخلص من كل الصفات والعيوب الأسلوبية الأخرى، فهو يعتمد السجع أحيانا، وهو ينحو منحى الجفاف والصرامة العلمية أحيانا أخرى خاصة في تناوله للموضوعات العلمية ومع هذا يظل مشوبا في أغلب الأحيان بشيء من الطراوة والاخضرار يبقيانه غضا على شيء من اللين، فقلد أثار هذا الأدب اهتماما بالغا بسبب تنوعه وغنى مادته، فهو تارة علمي وتارة شعبي، وهو طورا واقعي وأسطوري على السواء، تضمن فيه المتعة كما تمكن فيه الفائدة.

لذا فهو يقدم لنا مادة دسمة متعددة الجوانب لا يوجد لها مثيل في أدب أي شعب معاصر للعرب، وبهذه المميزات والخصائص المتعلقة بأسلوب أدب الرحلة وبموضوعة الشمولي الغنى بما فيه من علم وأدب وخرافة وأسطورة يمكننا اعتباره نمطا خاصا من أنماط القول الأدبي، قد لا يرقى إلى مستوى الفن القائم بذاته كفن القصة أو الشعر أو المسرحية مثلا، ففيه تجمع أساليب هذه الفنون وموضوعاته كلها من غير أن تضبطه معايير أو أن يخضع لمقاييسها.[1]

من خلال هذه التعريفات المتعددة الجوانب والواردة في مقدمات الكتب أو في المقالات يمكننا القول بأن:

أدب الرحلة فن نثري يقوم على رحلة قام بها شخص في الواقع، فيقل للقارئ مشاهداته وانطباعاته التي تركتها الرحلة أو بعبارة أخرى:

[1]الدكتور حسين محمود حسين، أدب الرحلة عند العرب، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، مكتبة الإسكندرية، الطبعة الثانية 1403هـ/1983م، ص09.

- يقوم أدب الرحلة بين الرحال واقعية في زمان ومكان محددين.

- يقوم بها رحالة قد تمكن حب الرحلة منه، فيصف من خلالها انطباعاته ومشاهداته.

- يمزج في وصفه بين شخص الرحال من ناحية، والرحلة كموضوع من ناحية أخرى.

- يستخدم النثر المعبر عن ذات الرحال، والحامل لخصائص دون تكلف أو إسراف مع المحافظة على بنية تكفل تماسك العمل ووحدته.

بعبارة أخرى أن يكون ذا معالم واضحة تحقق الترابط بين أجزاء العمل، من البداية وحتى النهاية، أدب الرحلة فن له أصوله وقواعده الفضفاضة، الهدف منه التأثير في القارئ والتواصل معه، حيث يستمتع بكل ما فيه، وتزداد ثقافته ومعارفه بطريق غير مباشر أو محسوس، بل إنه يجعل القارئ يقوم برحلة ممتعة دون حركة أو انتقال.[1]

إذن هذا اللون من الأدب العربي أصبح يشكل جانبا مهما في مكتبتنا العربية منذ تلك الرحلة التي قام بها أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير الكتاني الأندلسي ليحج ببيت الله الحرام.[2]

لقد حيرنا الصمت المطبق حول ما يسمى بأدب الرحلة الجزائري ما جعلنا مندهشين، فهو يشكل مادة خاما لعلها أكبر مادة أدبية في الجزائر لم ترى النور ولم يطلع عليها الباحثون.[3]

---

[1] يسمينة شرابي، الموروث الثقافي في أدب الرحلة الجزائري، نماذج من رحلات القرن العشرين، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في اللغة والأدب العربي، جامعة أكلي، محند أو الحاج البويرة 2012م/2013م، ص 33-34.

[2] د. سيد حامد النساج، أدب الرحلات في حياتنا الثقافية، مجلة العربي عدد رقم 1338 يناير 1987 الكويت، ص 136.

[3] عيسى بخيتي، أدب الرحلة الجزائري الحديث، سياق النص وخطاب الأنساق، أطروحة الدكتوراه، علوم الأدب الجزائري الحديث، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان 2015م/2016م، ص07 (المقدمة).

مكن القول أن أدب الرحلة الجزائري هو أدب بكر، لا تزال مناجمه خاما، لم يحظ بدراسات كافية إن لم أقل أنها نادرة، إذ ما قورنت بدراسات حول فنون أدبية كالرواية والشعر.[1]

وفي الأخير نخلص إلى أن أدب الرحلة فن من فنون النثر العربي، يمتاز بتشكيل لنص ذاتي، شخصي بخصوص الأنا والآخر، يتبين مكتفيا في شكل معين للتعبير عن رؤية معينة انطلاقا من خطاب مفصح عنه في البداية، أو مضمر في تضاعيف السرد والوصف والتعليقات.[2]

[1]يسمينة شرابي، الموروث الثقافي في أدب الرحلة، نماذج من رحلات القرن العشرين، ص أ (المقدمة).

[2]شعيب حليفي، الرحلة في الأدب العربي، التجنس، آليات الكتابة، خطاب المتخيل، دار رؤية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى القاهرة 2006، ص45.

الفصل الأول:

علاقة الأدب بالرحلة

ـالمبحث الأول: نشأة أدب الرحلة عند العرب

ـالبحث الثاني : نشأة أدب الرحلة عند الغرب

ـ المبحث الثالث : ارتباط الرحلة بالأدب

المبحث الأول:

أ- نشأة أدب الرحلة عند العرب.

إذا كانت الرحلة بدأت منذ آدم عليه السلام وتواصلت مع البشر أينما كانوا، وتأكدت على يد الصينيين، والهنود، والمصريين والفينيقيين، واليونانيين قبل آلاف السنين، وخلقت هذه الحضارات بعض الكتابات لعل أشهرها ما تركه هيرودوت.

لكن العرب الذين انطلقوا بعدهم، وسجلوا أغلب رحلاتهم، تفوقوا على من سبقهم ومن جاء بعدهم، في عدد المرتحلين، والأقطار التي بلغوها، وما كتبوه وما عرفوه وما أبدعوه وسجلوه من مادة ثقافية غريزة ونادرة، ولذلك كله قصة...[1]

يبدوا أن الشعب العربي كان مفطورا على حب الرحلة والسفر منذ فجر نشأته فقد ذكر التاريخ أنباء متواترة عن تنقله وأسفاره، في سبيل الرزق والتجارة والمعرفة، زار كثير من أفراده بقاعا وأقاليم بعيدة، فبلغ إلى أقاصي بلاد الشام والحبشة، وطوف كثير من أبنائه في بلاد نائية، فكأنه لم يعرف الهدوء والقرار على مصاعب السفر والرحلة آنذاك. وقد كان للقبائل رحلات وللأفراد أسفار، ذكر بعضها في الشعر، فكانت رحلات الشعراء إلى الجيزة ودمشق وبلاد الروم حتى بلغ امرؤ القيس القسطنطينية ونسب إليه شعر قاله في أنقرة. وكان لقريش رحلتان إحداهما في الصيف والأخرى في الشتاء.[2] اللتان ورد ذكرهما في القرآن الكريم قال عز وجل بسم الله الرحمن الرحيم ((لِإِيلافِ قُرَيْشٍ(1) إِيلافِهِمْ

---

[1] د. محمد بن سعود الحمد، موسوعة الرحلات العربية والمعربة المخطوطة والمطبوعة، معجم ببليوجرافي، فهرسة دار الكتب والوثائق القومية أثناء النشر، الطبعة الأولى 1428هـ/2007م، ص17.

[2] أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد، رسالة ابن فضلان، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، المطبعة الهاشمية، 1376هـ/1960م، ص13.

رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ(2) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ(3) الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ(4))).[1]

وإلى جانب ذلك أصبحت الرحلة عنصرا أساسيا من عناصر القصيدة الجاهلية، وتحدثنا كتب الشعر الجاهلي، وتراجم الشعراء عن رحلات بعض الشعراء داخل الجزيرة العربية أو خارجها، إلا أنها لم تدون على نحو أدب الرحلة كما نعرفه، وإنما وصلتنا ضمن مضامين الشعر الجاهلي، أو ضمن تراجم بعض الشعراء.[2]

ولما جاء الإسلام، وتوهج نور الدعوة الإسلامية، أخذ المسلمون يجوبون البلاد، وانداحوا في أرجائها وميادينها، جهادا في سبيل الله وإعلاء لكلمته، ففاق العرب الأمم التي سبقتهم فيما خلفوه من آثار في ميدان الرحلات، وساعدهم على ذلك اتساع رقعة الدولة الإسلامية، فلقد كانت رحلة العرب المسلمين في فتوحاتهم الكبرى من الرحلات الهامة التي امتدت لتشمل أصقاعا واسعة من الأرض، ليكون بعد ذلك هذا الاتساع في حدود العالم الإسلامي والثقافة العربية الإسلامية من أكبر الدواعي إلى امتلاء نفوس المسلمين على اختلاف طبقاتهم بحب الأسفار إلى الأمصار وامتداد أنظارهم إلى الآفاق البعيدة، والتوغل فيها، وشق قلب الصحراء، الأمر الذي يؤكد الخبرة البرية والبحرية والجغرافية للعرب وغيرهم من الشعوب المجاورة التي أسلمت، إذ تتطلب إدارة شؤون البلدان والمناطق المفتوحة معرفة تامة لأحوالها المختلفة، وبالتالي فقد كان دور المؤرخين والكتاب وصف تلك المناطق والبلدان ووضع المعاجم الخاصة بها.[3]

---

[1] سورة قريش: آية 1-4.

[2] د. نوال الرحمن الشوابكة، أدب الرحلات الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري، دار المأمون للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة الأولى 1428هـ/2008م، ص17 (التمهيد).

[3] المصدر نفسه، ص20 (التمهيد).

وهذا كله بعد مجيء الإسلام الذي وسع بدوره آفاق الرحلة العربية وعدد دوافعها، وبهذا بلغت ذروتها، وارتفع شأنها وقيمتها خصوصا خلال فترة الفتوحات الإسلامية وما تلاها من عصر الاستقرار والازدهار والمعرفة والحضارة حتى مشارف القرن الخامس الهجري تقريبا (الحادي عشر ميلادي) هنا بدأت معالم التدهور تصبب كافة مجالات الحياة بما في ذلك الرحلات التي خبا نشاطها تدريجيا، وهزلت مادتها، فيما عدا بعض الاستثناءات التي نذكر من بينهما رحلات أبي عبد الله اللواتي، الشهير بابن بطوطة (703-779هـ/1304-1377م) والمؤرخ الرحالة عبد الرحمان بن خلدون (732-808هـ/1334-1406م).

وتجدر الإشارة هنا إلى أن ابن خلدون قد نوه بأهمية الرحلات، فأورد ذكرها في مقدمته الشهيرة ؟ إذ قال: ((والرحلة لابد منها في طلب العلم، ولاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرحال)).[1]

وإلى جانب السعي في طلب العلم والاستفادة من العلماء كان الحج من أهم العوامل، التي دفعت بالمسلمين من كل فج عميق وعلى كل ضامر إلى الرحلة والانتقال.[2]

وقد عرفت الرحلة العربية ابتداء من أواخر القرن السادس الهجري، تحولا في اتجاه الكتابة، من اعتناء بجغرافية البلدان وآثارها الحضارية، إلى اعتناء بسرد يوميات الرحالة، وذكر لكثير من خصوصياته، مشاعره، أفكاره، وانتقاداته، مع تحول في الطابع الأسلوبي للكتابة كذلك، إذ أصبح أسلوب سرديا، وقصصيا، يتسم بالبساطة والسلاسة، وبهذا انتقلت الرحلة من الطابع العلمي، إلى الطابع الأدبي.

---

[1] د. حسين محمد فهيم، أدب الرحلات، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت 1989. سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، صدرت في يناير 1978م، ص79.

[2] المصدر نفسه، ص80.

وقد مثل الرحالة الأندلسي محمد بن جبير (ت. 614هـ) أحسن تمثيل الاتجاه الأدبي، برحلته المعنونة: "تذكار الأخبار عن اتفاقات الأسفار"، التي وصفها الدكتور حسني محمود حسين بقوله: "إن هذه الرحلة تحوي بعض المعلومات التي لا يستغني عنها مؤرخ، أو جغرافي أو أديب يريد أن يدرس هذه الفترة المهمة من حياة الشرق الإسلامي،[1] وقد رفع بها صاحبها هذا الضرب من الصياغة الأدبية إلى درجة عالية.

أفادت رحلة ابن جبير في موضوعها وصياغتها، الكثير من المؤلفين المغاربة والأندلسيين، ممن جاءوا بعد الرحالة، من بينهم: علي بن سعيد الأندلسي (ت، 685هـ)، مؤلف كتاب "المشرق في حلى المشرق'4، ومحمد العبدري (688 هـ)، صاحب "الرحلة المغربية"، وابن رشيد السبتي الأندلسي (ت. 711 هـ)، مؤلف رحلة "ملء العيبة"، فيما جمع بطول العيبة، أما محمد بن إبراهيم اللواتي المعروف بابن بطوطة (ت 776 هـ)، فقد فاق ابن جبير شهرة، واتساعا في رقعة الرحلة بكتابة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار"، حتى عد أشهر الرحالين شرقا وغربا، وقد رأى أحد الباحثين، أن فيما عدا هيرودوت: "لم يشهد الفكر اليوناني او الروماني رحلة من طراز المقدسي أو المسعودي أو الإدريسي أو ابن حوقل، وإضافة إلى هؤلاء نذكر كذلك من رحالي القطر المغاربي: عبد الرحمان بن خلدون (ت. 808هـ) صاحب "التعريب بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا".[2] الذي يعد سيرته الذاتية، مضمنة كما هو واضح من العنوان بأخبار رحلات ابن خلدون في المغرب والمشرق.

ويلاحظ المتتبع لمسار التأليف في الرحلات العربية، إضافة إلى تحول منهج الكتابة وأسلوبه، انتقال التأليف ابتداء من القرن السادس الهجري، من المشارقة إلى المغاربة، الذين عرفوا بعد خوضهم في مجال

---

[1] د. سميرة أنساعد، كتاب الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري، دار الهدى عين مليلة، الجزائر، دون طبعة، عامة 2009، ص42.

[2] د. سميرة أنساعد، كتاب الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري دراسة في النشأة والتطور، دار الهدى عين مليلة، الجزائر، دون طبعة، عامة 2009، ص43.

التأليف، بتفوقهم في أدب الرحلات، وتركيزهم في مؤلفاتهم على تسجيل أخبار الأدباء، والعلماء في كل قطر زاروه.[1]

لما بدأ القرن الثامن ميلادي كان العرب قد امتدت فتوحاتهم وأصبح لهم ملك واسع الأرجاء، وفي بداية هذا القرن فتحوا بلاد ما وراء النهر وبلاد الأندلس، فانبسطت إمبراطوريتهم من حدود الهند شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا، ومن آسيا الوسطى وجبال القوقاز شمالا إلى صحاري إفريقية جنوبا.

وكان لاختلاط العرب بالشعوب الأخرى أثر كبير في نشأة المدينة الإسلامية وتطورها، فملك العرب ناصية العلم والمعرفة، وحفظوا لأوروبا تراث اليونان وتقدمت على يدهم العلوم المختلفة.

وأتيح للمسلمين في العصور الوسطى أن يحوزوا قصب السباق في ميدان الرحلات والاكتشافات والدراسات الجغرافية، وأفادت أوروبا مما كان عند المسلمين من علم بأجزاء العالم المعروفة في القرون الوسطى.[2]

والحق أن ازدهار الحضارة الإسلامية وسيادة المسلمين في البر والبحر، وطبيعة الدين الإسلامي، كل ذلك كان من شأنه أن يشجع على الأسفار والرحلات.[3]

---

[1] د. سميرة أنساعد، كتاب الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري، دار الهدى عين مليلة، الجزائر، دون طبعة، عامة 2009، ص44.

[2] د. زكي محمد حسن، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، دار الرائد العربي بيروت لبنان، 1401هـ/1981م، ص05 (المقدمة).

[3] المصدر نفسه، ص06.

المبحث الثاني:

ب- أدب الرحلة عند الغرب.

يعد احتكاك الأوروبيين بالحضارة الإسلامية في كل من إسبانيا وصقلية وجنوب إيطاليا من الدلائل القاطعة التي تبرهن على مدى تأثير المسلمين في أوربا ومدى فضلهم على تقدمها.[1] وكان مفهوم الترحال من أجل العلم والمعرفة تبلور منذ القرن السادس عشر الميلادي، ويهدف في الأساس إلى جمع المعلومات الجغرافية ودراسة عادات الشعب وأحوالهم المعيشية والسياسية، وكان الرحالة الغربي يوصف بأنه رجل متحضر، لديه تطور راق للحياة وهو صاحب رسالة حضارية، يريد نشرها في أوساط الشعوب المختلفة، وقد عكف على التجوال والترحل ليدون مشاهداته السياسية وأخبار المناطق التي يزورها لصالح الحكومات أو المؤسسات التي أوفدته.

وكان أدب الرحلات عند الغربيين يعد امتدادا لحركة الاستشراق،"وهو جزء من تراث الإمبراطوريات الغربية المستعمرة، التي كانت ولا تزال تحرص على دوام مصالحها في البلاد الأخرى، فحتى الرحلات ذات الطابع العلمي الأكاديمي كانت مرتبطة بالسياسة أكثر من ارتباطهم بالعلم والحضارة".

وكان أدب الرحلات "عظيم الفائدة، ولا يضاهي في تنوعه وتعدد مجالاته" على الرغم من الغموض الذي يكتنف دوافعه الحقيقية، حيث يلتقي في هذا المجال العلم بالأدب والفلسفة بالتاريخ والاقتصاد بالسياسة، وتشمل كتب العلماء ورجال الدين والسياسة والعسكريين.[2]

والمخبرين الذين زاروا المنطقة، على ركام هائل من المشاهدات والأبحاث الدقيقة، التي تتناول السكان والعمران والنبات والحيوان، وترسم الخرائط ومواقع المدن الأثرية، وتحدد الطرف ومواطن الثروات، ومن

---

[1] أ. د. عبد القادر شريف بموسى، الشرق بمنظار الغرب كتابات الرحالة الأوروبيين أنموذجا، مجلة فكر الثقافية، العدد 12، أغسطس، أكتوبر 2015ظ، ص22.

[2] المصدر نفسه، افتتاحية (مسيحيون في مكة المكرمة، الرحلات والاستشراف في الجزيرة العربية)، ص6.

أسماء هؤلاء لودوفيكوفارتيما، وجوزيف بيتس، ووليام جيفورد بالجريف وتشارلز دوتي وهاري سنت جون فيلبي، بالإضافة إلى باديياليلبليشونيبوروبركهارتوبيرتون.[1]

استغرقت عمليات سفر الغربيين وترحالهم في جزيرة العرب قرابة أربعة قرون. بدأت مع نهاية القرن التاسع الهجري، الخامس عشر الميلادي، وانتهت في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري، العشرين الميلادي، أمام بعد ذلك من رحلات فإنها تدخل في باب العمل الرسمي، إذ تحدها قيود ومواثيق واتفاقيات رسمية لا تدخل في باب الرحلات، مثل البعثة الاستكشافية العلمية بقيادة كونزاكريكمانز المتخصص في اللغات السامية.[2] تتميز رحلات الغربيين إلى بلاد الجزيرة العربية ومدنها في القرنين العاشر والحادي عشر الميلاديين بكونها ذات طابع فردي، ويكتنف أهدافها الغموض، وكانت في مجملها تتصف بالخطورة، ولكن نتائجها لا تخلو من الفائدة العلمية.

أما رحلات الغربيين في القرون اللاحقة فهي رحلات ذات طابع ديني، تبشري، أو ذات طابع عسكري، أو ذات سمة سياسية رسمية، أو جاءت لأغراض علمية واستكشافية وفي العموم نظر الرحالة الغربيون إلى الأماكن التي زاروها من منظورهم الخاص، لذا أوردوا بعض الملحوظات التي قلما أثارت انتباه الرحالة العرب الذين زاروا الأماكن نفسها.[3]

ولابد في هذا السياق من الإشارة إلى جمل الرحالة الغربيين الأوائل ببلدان الجزيرة العربية، وهم في بعض هذا معذورون، ذلك أن أعمال الجغرافيين والرحالة المسلمين لم تترجم إلى اللغة اللاتينية، وهي لغة العلم والثقافة في أوربا إلا في القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي، وبهذا لم يتمكن

[1] افتتاحية مجلة فكر الثقافية، العدد 12 أغسطس، أكتوبر 2015، ص07.

[2] المصدر نفسه، ص08.

[3] المصدر نفسه، ص08.

الرحالة الغربيون الذين زاروا الجزيرة العربية قبل ذلك التاريخ من الإطلاع على ما كتب عن الجزيرة العربية.[1]

ويقول الدكتور العسكر، معظم الرحالة الغربيين الذين جابوا مناطق الجزيرة العربية وخاصة بلاد الحجاز عمدوا إلى إخفاء شخصياتهم الحقيقية، وتنكروا خلف أسماء عربية وأظهروا مهنا لا يعرفونها أصلا، نستثني من أولئك نفرا قليلا، يأتي على رأسهم البريطاني تشارلز مونتاج داوتي Charles Montage Doughty وهو ليس فقط يعلن عن اسمه الحقيقي في معظم الأحيان، بل فوق هذا لم يأت للجزيرة لحساب دولة أو رئيس دولة، لقد كان داوتي من المغامرين وحسب، كان رجلا متدينا، وإن قلت مأخوذا بقصص العهد القديم لدرجة الذوبان فيها فلن أتجاوز الحقيقة.[2]

[1] افتتاحية مجلة فكر الثقافية، العدد 12 أغسطس، أكتوبر 2015، ص09.

[2] المصدر نفسه، ص13.

المبحث الثالث:

ج- ارتباط الرحلة بالأدب.

قد ثار جدل حول تصنيف الرحلات، في أي جانب من العلوم هي؟ أهي جغرافية ؟ أم أدبية؟ أم تاريخية؟ أم اقتصادية؟ أم سياسية؟ أم اجتماعية؟ أم هي مزيج من تلك العلوم مجتمعة ؟

ونشير هنا إلى أن الرحلة ذات علاقة مباشرة بالأدب، لأن الأسلوب الذي استخدم في صياغتها ارتفع إلى عالم الأدب إلا أن أبرز ما يميز الرحلات أسلوب الكتابة القصصي، المعتمد على السرد المشوق، والمؤثر للتعبيرات السهلة المؤدية للغرض، ولذلك فتصنيفها خاص بكتب الرحلات.

فالرحلات مصدر فريد لكثير من النصوص الأدبية شعرا كانت أو نثرا، لانفرادها برواية الكثير من النصوص، فالرحالة حرصوا على أن تضم رحلاتهم النوادر، فأدرجوا فيها كثيرا من قصائدهم الشعرية ورسائلهم النثرية مما له ارتباط بظروف الرحلة، وهذا الأمر جعل الرحلات ذات أهمية أدبية خاصة، فأكثر[1] الرحالة لم تعرف لهم أشعار أو كتابات إلا من خلال ما دونوه في رحلاتهم، لذا عدت بمثابة دواوين لأصحابها ومجموعات ضمت ألوانا من إنتاج علماء عصرهم وأدبائه.[2]

[1] د. عواطف بنت محمد يوسف نواب، كتب الرحلات في المغرب الأقصى مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين، دار الملك عبد العزيز، الرياض 1429هـ/2008م، ص18.

[2] المصدر نفسه، ص19.

الفصل الثانـي:

أدب الرحلة في الأدب العربي القديم

ـالمبحث الأول : ابن جبير

ـالمبحث الثاني : ابن بطوطة

المبحث الأول:

أ- ابن جبير.

ولد محمد بن جبير البلنسي الأصل الغرناطي الاستيطان بمدينة بلنسية أو بشاطبة (سنة 640 هـ أو سنة 539 هـ/1145 أو سنة 1144م)، وتوفي بمدينة الإسكندرية سنة 614هـ/1217م). وقد ذكر لنا سلسلة نسبة الرحالة التجيبي ضمن ترجمته له، فقال: "هو الأديب الفاضل الزاهد أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير بن سعيد بن جبير بن سعيد بن جبير بن محمد بن مروان بن عبد السلام بن مروان بن عبد السلام بن جبير الكناني الدخل إلى الأندلس مع بلج القشرى سنة 113هـ".

ويكمل لنا لسان الدين بن الخطيب سلسلة نسب ابن جبير، أن عبد السلام بن جبير الجد قبل الأخير، كان نزوله بكررة شرونة وهو من ولد ضمرة بن كنانة بن بكر بن عبد مناف بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس[1] بن مضر بن نزار بن معدن بن عدنان، بلنسي الأصل ثم غرناطي الاستيطان، شرق وغرب وعاد إلى غرناطة.

ولا شك في أن ابن جبير كان رحالة رائدا في ميدان الرحلة، وخاصة بين رحالة الغرب، نهج على منواله واقتبس منه كثير من الرحالة والمؤرخين الذين أتوا بعده، وليس أدل على ذلك من تهافت المؤرخون من القدامى والمحدثين بل والمستشرقين على الترجمة له وتحقيق ونشر رحلته، ولقد جمع لنا المؤرخ عبد القدوس الأنصاري ترجمة ابن جبير من عشرة مصادر ومراجع بعضها من الشرق وآخر من الغرب وثالث من كتاب المستشرقين.

وقد استهل هذا الحشد من التراجم بقوله، ولا غرابة في ذلك فابن جبير من أوسع الرحالين العرب فكرا، واشملهم ملاحظات وأجملهم أسلوبا وأنقاهم تعبيرا وأسلسهم بيانا، وأعمقهم استنتاجا وإدراكا

[1] الدكتور أحمد رمضان أحمد، الرحلة والرحالة المسلمون دار البيان العربي للطباعة والنشر والتوزيع، ص323.

وأكثرهم اهتماما بالأوضاع السياسية الإسلامية العامة في زمنه وأشدهم اهتماما بتتبع أحوالها واستقصاء أدوائها وعلاجها.[1]

كان من علماء الأندلس في الفقه والحديث، وكانت له مشاركة في الاداب، وصفه لسان الدين بن الخطيب في كتابه "الإحاطة في أخبار غرناطة" بأنه "كان أديبا بارعا، شاعرا مجيدا، سري النفس، كريم الأخلاق"، ولكن شهرته لم تقم إلا على كتابه هذا المعروف "برحلة ابن جبير" الذي وضعه بعد أن قام برحلات ثلاث، أهمها رحلة استغرقت أكثر من ثلاث سنوات، بدأها يوم الاثنين في التاسع عشر من شهر شوال سنة 578هـ، الموافق لليوم الثالث من شهر شباط سنة 1182م، وختمها في يوم الخميس الثاني والعشرين من شهر محرم سنة 581هـ، الموافق لليوم الخامس والعشرين من شهر نيسان سن 1185م. وقد وصف في هذه الرحلة كل ما مر به من مدن وما شاهد من عجائب البلدان وغرائب المشاهد وبدائع المصانع، والأحوال السياسية والاجتماعية والأخلاقية، وأخد عناية خاصة بوصف النواحي الدينية والمساجد والمشاهد وقبور الصحابة ومناسك الحج، ومجالس الوعظ والمستشفيات والمارستانات، ووصف كذلك الكنائس والمعابد والقلاع والعواصف البحرية، وما كابده المسافرون من ضيق وذعر، وذكر الحروب التي كانت دائرة في الشرق بين الصليبيين والمسلمين[2] وما كان عليه الأهالي المسلمين والمسيحيين من علاقات حسنة في خلال تلك الحروب. ووصفه لكل ذلك دقيق مسهب يدل على دقة ملاحظته وسعة علمه.

وكان شديد الإعجاب بالسلطان صلاح الدين الأيوبي، عظيم الإكبار له، فلا تمر سانحة إلا بين فيها ما كان عليه هذا السلطان العظيم من العدل ونبل الأخلاق وكرم السجايا.

---

[1] المصدر نفسه، ص324.

[2] أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير بن محمد بن جبير الكناني البلنسي، رحلة ابن جبير "اعتبار الناسك في ذكر الآثار الجريمة والمناسك"، دار صادر بيروت، ص05.

وابن جبير قوي العاطفة الدينية، يختم كل كلام بالدعاء إلى الله تعالى والتوكل عليه جل جلاله، وهذه العاطفة المتقدمة دفعته إلى إرسال الأدعية للمدن التي مر بها ،فمنها ما يدعو لها "بحرسها الله ،وعمرها الله ،وحماها الله "وما شابه أو "باعدها الله" إذا كانت مما خرج من يد المسلمين إلى أيدي الفرنجة، ومنها ما يدعو عليها، يدمرها الله "إذا كانت تحت سلطان الفرنجة".[1]

ولكن ميوله برزت في العلو الدنيوية أيضا، إذ يسرت له مواهبه الشعرية، من ناحية أخرى، نجاحا في الأوساط الرسمية، مما جعله يحتل منصب كاتب لدى حاكم غرناطة أبي سعيد عثمان بن عبد المؤمن، من الموحدين، ولم يلبث أن كسب الشهرة كاتبا وشاعرا تروى لد عدة قصائد متفرقة، فضلا عن ديوان شعر، كما ترك رسائل نثرية لها شهرتها في الأدب.

ويذكر المقري في كتابه (نفح الطيب) أن أمير غرناطة استدعاه يوما ليؤلف فيه كتابا وهو في مجلس شرابه، وحدث أن دفع إليه كأسا فأظهر ابن جبير الانقباض وقال: "يا سيدي ما شربتها قط" غير أن الأمير غضب وقال: "والله لتشربن منها سبعا" فلما رأى ابن جبير منه الإصرار لم يستطع الإذعان وشرب، وأحس الأمير بشيء من الندم، أو لعله أراد أن يكافئ ضيفه على مجاملته له، فقدم له سبعة أقداح مملوءة بالدنانير الذهبية وصبها في حجره، فحملها ابن جبير واعتزم أن يكفر عن شربه الخمر بأداء فريضة الحج فباع بعض عقاراته، وأضاف ثمنه إلى عطية الأمير وما هي إلا أيام حتى استأذن من الأمير في الحج، ولكيلا يحول دون سفره، أبلغه أنه أقسم قسما لا رجعة فيه أن يحج في تلك السنة فأذن له.[2] ولكننا لا يمكننا الاطمئنان إلى صحة الخبر لأن ابن جبير شرع في رحلته سنة 578هـ/1182م، وكان الأمير أبو سعيد قد توفي سنة 571هـ/1179م، فمن المحال إذا أن يكون

[1] المصدر نفسه، ص06 (لا ت، لا طبعة).

[2] د. عبد الرحمن حميدة، أعلام الجغرافيين العرب، دار الفكر بدمشق، الطبعة 01/ 1984م، ص409.

الحج قد جرى في السنة نفسها،[1] ومن المستبعد أن يكون الحج السبب الذي ذكر لما بين التاريخين من مدة طويلة .

رحل ابن جبير الى المشرق ثلاث رحلات ،أولها سنة 758هـ/1182م،وفيها دون رحلته المعروفة.

مات ابن جبير في الإسكندرية سنة 614هـ/1211م.

رحلة ابن جبير:

1/ تسميتها: ذكر حاجي خليفة في كشف الظنون أن اسم رحلة ابن جبير (رحلة الكناني)، وتابعه المستشرق كراتشكوفسكي، ولكننا نظن أن للرحلة اسمين كغيرها من الرجل، الأول: (رحلة ابن جبير)، وهذا العنوان ورد في أول المخطوط الوحيد للرحلة، وجاء في خاتمته أن[2]اسمها (اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك)، ولكن هذا العنوان هو اسم لكتاب آخر ألف ابن جبير وذكره ابن عبد الملك المراكشي ضمن مؤلفات ابن جبير.

أما الاسم الثاني للرحلة فهو (تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار)،وهو الاسم الصحيح للرحلة.

2/ خط سيرها:خرج ابن جبير من غرناطة يوم الخميس 08 شوال سنة 578هـ/3 فبراير 1183م، ووصل إلى الإسكندرية بعد ثلاثين يوما قضاها على ظهر السفينة في البحر من مدينة سبته، ثم اتجه جنوبا إلى القاهرة، فقوص، وانتهى إلى عيذاب على ساحل البحر الأحمر، ومنها قطع البحر إلى جدة في طريقه إلى مكة والمدينة.

---

[1] د. علي إبراهيم الكردي، أدب الرحلة في المغرب والأندلس، الهيئة العامة السورية للكتاب الطبعة الأولى، 2013م، دمشق، ص32.

[2] المصدر نفسه، ص33.

وبعد تأدية فريضة الحج واجتاز الطريق النجدي إلى الكوفة، وزار بغداد والموصل وعاد عن طريق سورية فمر بحلب وحماه، وحمص والنبك،[1] ودمشق وانتهى إلى عكا، فاستقل أحد المراكب الجنوبية عائدا إلى بلده، فمر بصقلية، ووصل إلى غرناطة في 8 محرم من سنة 581هـ/1185م.

3/ محتوى الرحلة: دون ابن جبير رحلته على شكل مذكرات يومية، استعمل فيها التاريخين الهجري والميلادي، فيذكر اليوم والشهر القمريين والسنة الهجرية، في حين يكتفي بذكر اليوم والشهر الشمسيين من دون ذكر السنة الميلادية.

عني ابن جبير في رحلته بالنواحي الدينية فاهتم بذكر مشاعر الحج بالتفصيل، ووصف الطريق بين هذه المشاعر بدقة متناهية، وعين المراحل الزمنية التي استغرقته كل منها.

كما عني بالمظاهر الجغرافية من سهول وجبال وبحار وخلجان وأنهار، وشروق وغروب، وفصول السنة. وأجناس الناس وأشغالهم وصناعاتهم وزراعاتهم ومتاجرهم وغير ذلك.

ولم يغفل ابن جبير تصوير العلاقات التجارية بين المسلمين والمسيحيين في إبان الحروب الصليبية، ويشير غير مرة إلى الحياة الاقتصادية من حيث المزروعات والسلع المتبادلة، وانتقد بعض الممارسات التي كان يقوم بها رجال الضرائب المصريين الذين كانوا يضيقون على الحجاج، ويفتشونهم ويكلفونهم بالضرائب عن كل ما معهم من مال من دون أن يتأكدوا من استحقاق الضريبة.

كما تكلم على المكوس التي كان على الحجاج أن يدفعوها لشريف مكة نظير ما يؤدي لهم من خدمات بمكة وعرفة وبقية المناسك.[2]

---

[1] د. علي إبراهيم كردي، أدب الرحل في المغرب والأندلس، الهيئة العامة السورية للكتاب، الطبعة الأولى، 2013م، دمشق، ص33.

[2] المصدر نفسه، ص34.

ويلفت نظرنا عناية ابن جبير بالبحث عن المدارس والمارستانات، وهذا ليس غريبا على رجل عالم فقيه، وهو في كل هذا دقيق الملاحظة، سهل العبارة، واضح الأسلوب، يترك قلمه على سجيته في معظم أجزاء الرحلة، ولا يلتفت إلى الصنعة إلا في أماكن قليلة عندما يصف مدينة ينشرح فيها[1] يعني بالسجع والتوازن وتزيين الجمل بالمحسنات.[2]

لقد وصل ابن جبير بأدب الرحلة إلى قريب من ذروته، وأضاف إلى فن الرحلة صفحات من أجمل ما فيه، وأغرزها مادة، وأقربها إلى روح العلم وأصدقها.[3]

وحفلت رحلته بالكثير من المحسنات البديعية مثل: الاستعارة والسجع البديع دون تكلف، بحيث يسهل فهمها، كما نجده يقدم معلوماته ببراعة مع حسن التصوير وتشبيه وصدق في الوصف والتحري بقدر إطلاعه على حقائق بعض الأمور المذكورة له، إضافة إلى اهتمامه البالغ بما ساد العالم الإسلامي.

وعلى الرغم من بعض الأخطاء والهفوات التي وقع فيها ابن جبير، فمدونته تحوي الكثير من المعلومات المهمة التي لا يستغني عنها أديب أو جغرافي أو اقتصادي أو مؤرخ يتناول تلك الفترة بالدراسة، ولولا تسجيله لها لبقي كأحد الكتاب المشهورين بجمال الأسلوب وحسن الصياغة في الدولة الموحدية.[4]

---

[1] د. علي إبراهيم كردي، أدب الرحل في المغرب والأندلس، الهيئة العامة السورية للكتاب، الطبعة الأولى، 2013م، دمشق، ص34.

[2] المصدر نفسه، ص35.

[3] المصدر نفسه، ص35.

[4] د. عواطف بنت محمود يوسف نواب، الرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين، دراسة تحليلية مقارنة، مكتبة الملك فهد الوطنية 1417هـ الرياض، ص107.

المبحث الثاني:

ب- ابن بطوطة.

أشهر الرحالة العرب على الإطلاق، لم يبلغ من ذيوع الصيت في الشرق والغرب، بفضل شخصيته القوية التي تفيض حيوية، وبفضل ثقافته وعلمه وذاكرته النابضة وإقباله على الحياة وتأمله لدقائقها وتطلعه إلى الأفضل دائما في كل أمور العيش، فضلا عن قوة الجسم والجلد وحب المعرفة والولع بالسفر[1] هو أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتي، نسبة إلى لواته إحدى قبائل البربر المعروف بابن بطوطة، والملقب بشمس الدين.

ولد في طنجة، فقيل له الطنجي، ومكث فيها إلى أن بلغ الثانية والعشرين، فاندفع بدافع التقوى، وكان على قسط عظيم منها، إلى الحج، وانساق بحبه للإسفار إلى التجوال في بلدان العالم والمعروف في أيامه، فطاف في مصر وسوريا وجزيرة العرب، وإفريقيا الشرقية، وآسيا الصغرى، وروسيا الجنوبية والهند والصين والأندلس والسودان.

ورحلاته ثلاث استغرقت كلها زهاء تسع وعشرين سنة، أطولها السفرة الأولى التي لم يترك فيها ناحية من نواحي المغرب والمشرق إلا زارها.

وأكثر ما كانت إقامته في الهند حيث تولى القضاء سنتين ثم في الصين حيث تولى القضاء سنة ونصفا فوصف كل من شاهده وعرفه فيهما من سلاطين وخواتين، وأناسي رجالا ونساء، ووصف ملابسهم وعاداتهم وأخلاقهم وضيافتهم وترتيب مآكلهم ومشاربهم، وما حدث في أثناء إقامته من حروب وغزوات وثورات وفتك بالسلاطين والأمراء ورجال الدين، وكانت عاطفته الدينية تدفعه إلى زيارة

[1] فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العرب]، مكتبة الدار العربية للكتاب 1423هـ/2002م، الطبعة الثانية، ص488.

المساجد والزوايا فلم يترك زاوية إلا زارها ونزل ضيفا عليها حتى أنه زار من جبل سرنديب المكان الذي يقال إن فيه أثر قدم آدم أبي البشر.[1]

وهو أشهر الرحالة على الإطلاق، جاب الكثير من الأمصار والأقطار ودون مشاهداته في محمد بن عبد الله بن محمد كتابه: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار.[2]

من أكابر وأشهر الرحالة العرب، ومن الرحالة الأوائل والقلائل المحدودين في العالم الذين اقتحموا مجال (عالم الرحلات) وطافوا العالم شرقا وغربا، بحثا عن الغرائب والعجائب والطرائف في حياة الأمم والشعوب، فأمتعوا الناس بأخبار وحكايات تأسر القلوب، وتأخذ بالباب العقول. وبهمته العالية وطموحه النادر، حقق ابن بطوطة الريادة في (أدب الرحلات)، وصار كل من جاء بعده من الرحالة يتمنى الوصول إلى درجته العالية في المجد والشهرة، وحاول الكثير منهم أن يقلدوا ابن بطوطة في أسلوبه وخاصة عند روايته للغرائب والعجائب. وإن كان في بعضها نظرا كما يقول بعض المختصين، إلا أنهم لم يصلوا إلى مستوى أسلوبه المستساغ والممتع وإن روى حتى أسطورة أو خرافة من الخرافات.[3] هو أعظم الرحالة المسلمين قاطبة، وأكثرهم طوافا في الآفاق، وأواخرهم نشاطا واستيعابا للأخبار، وأشدهم عناية بالتحدث عن الحالة الاجتماعية في البلاد التي تجول فيها، حقا إنه لم يكن فقيها دقيق الملاحظة سليم الحكم مثل ابن حجر، ولكن حديث رحلاته الطويلة عني بالأحداث، يشم الحياة، ويشهد بأن ابن بطوطة كان من المغامرين الذين لا يقر لهم قرار، ومن الذين يدفعهم حب الاستطلاع والرغبة في الاستمتاع بالحياة إلى أن يركبوا الصعب من الأمور.[4]

---

[1] ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، دار الفكر، ص05 (لا ب، لا ط).

[2] د. جمال الدين فالح الكيلاني، الرحلات والرحالة في التاريخ الإسلامي، دراسة تاريخية، دار الزنبقة للطباعة والنشر، القاهرة، 2014/09/05، ص63.

[3] كمال بن محمد الريامي، مشاهير الرحالة العرب، كنوز للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 1434هـ/2013م، ص87.

[4] د. زكي محمد حسن، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، دار الرائد العربي 1401هـ/1981م، بيروت لبنان، ص136.

قيامه بالرحلة:

وهي المرحلة الهامة في حياته، ففيها قام ابن بطوطة برحلته المشهورة وتبتدئ هذه المرحلة بخروجه للرحلة في يوم الخميس الثاني من شهر رجب الفرد عام 725هـ/1324م، وتنتهي بتدوين تفاصيل هذه الرحلة في الثالث من ذي الحجة عام 756هـ/1355م.[1]

كان ابن بطوطة أول من ذكر في رحلته جماعة الهنود المعروفين بالجوكية السحرة، ووصف عاداتهم وتقاليدهم ومكاشفتهم، وهو أول من أتى على ذكر[2]الأخية الفتيان وضيافتهم، وذكر الإسماعيلية المعروفين بالفداوية وأورد وصف حصونهم وشراستهم، كما كان أول رحالة تغلغل إلى مجاهل إفريقيا ودون عنها معلومات قيمة كانت مجهولة.

وبعد رحلاته تلك نزل في فاس المغرب وأقام في حاشية السلطان أبي عنان من أمراء بني مرين، وفي أثناء إقامته كان يحدث الناس بما رأى وسمع، فاستحسنوا أخباره وقصصه، فأمره السلطان أبو عنان بكتابة أخباره، ولما كان الهنود قد سرقوا منه في بعض جولاته في الهند كل ما كان قد دونه في مذكراته، فقد أملى ما تذكره على كاتب السلطان محمد بن جذري الكلبي سنة 756هـ، وهذا ما يفسر لنا ما يرى في سياق رحلته من بعض هفوات جغرافية مبالغات واستطرادات، وأطلق على مجموع أخباره اسم "تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار". وهو الذي يعرف برحلة ابن بطوطة.

توفي ابن بطوطة في مراكش سنة 779هـ، وقد أطلق عليه الغربيون (جمعية كمبردج) لقب أمير الرحالين المسلمين، وهناك أسرة في نابلس بفلسطين تسمى بيت بطوطة، وتعرف أيضا ببيت المغربي وبيت كمال. يقال أنها من نسل ابن بطوطة الرحالة.

---

[1]الحسن الشاهدي، أدب الرحلة بالمغرب في العصر المريني، منشورات عكاظ، الجزء الأول، 1990م، ص252.

[2]د. رحاب خضرة عكاوي، موسوعة عباقرة الإسلام في الطب والجغرافيا والتاريخ والفلسفة، دار الفكر العربي بيروت الجزء الثاني، الطبعة الأولى، 1993، ص195.

لم يكن ابن بطوطة في أثناء تدوين رحلته عالما لغويا ومنشئا بديعا، ولكنه كان رحالة يطوف البلاد والأصقاع، وكان همه الإطلاع على كل عجيب غريب، ولعل ما جبل عليه من عاطفة دينية وصدق نية جعله يصدق كل ما يروى عليه من قصص من غير أن يسير حقيقة القصة، خاصة في ما كان يتعلق منها بالكرامات، فكان يدونها تماما كما أخبر بها، من مثل ما روى له عن لحية الشيخ جمال الدين، فسردها كما رويت، وكذلك تدوينه أخبار النساء ذوات الثدي الواحد، وأخبار العفاريت التي كانت تضرب جزر ذيبة المهل، ونادرا ما كان الشك يدفعه إلى عدم تصديق ما يروى عليه فنجده أحيانا يقول: "يزعمون" أو "هذا في زعمهم" ابتعادا عن إلصاقه التبعة به.[1]

ورغم ما أتى به في رحلاته من عجيب الخلق وغريب العادات، فإن قصص رحلاته كانت من أطرف القصص وأجزلها نفعا من حيث تسجيل عادات الأقوام وتقاليدهم ولباسهم ومآكلهم ومشاربهم، كما أن هذه الرحلة الطويلة امتازت بفوائد[2] تاريخية وجغرافية عميقة لما ذكره فيها من وصف البلاد وجوبها وتربيتها وجبالها وبحارها، ومن ضبط دقيق لأسماء الرجال والنساء والأماكن والمدن والزوايا وغيرها، وقد اهتم ابن جزي الكلبي بهذه الرحلة اهتماما شديدا، فقسم الرحلة وجعلها قسمين أفرد لكل قسم كتابا خاصا به. وقد وقف الأول منهما عند وصول ابن بطوطة إلى نهر السند، ثم أنهى بنهاية الرحلة الثالثة كتابه الثاني.

والجدير بالذكر أن المستشرقين في فرنسا وانجلترا وألمانيا والبرتغال اهتموا بهذه الرحلة اهتماما عظيما فترجموها إلى لغاتهم، أو ترجموا أقساما منها، وكان ابن بطوطة في ترجماتهم يدعى Prince of

[1] المصدر نفسه، ص196.

[2] د. رحاب خضرة عكاوي، موسوعة عباقرة الإسلام في الطب والجغرافيا والتاريخ والفلسفة، دار الفكر العربي بيروت الجزء الثاني، الطبعة الأولى، 1993، ص196.

moslemstravellers.وقد اختصر محمد بن فتح الله البيلوني كتاب ابن جزي عن هذه الرحلة في جزء صغير.[1]

لم يكن في الدنيا غير ابن بطوطة يستحق النعت من لدن المؤرخين القدامى بأنه "رحالة العرب والعجم" ولم تكن رحلة في الدنيا غير رحلة ابن بطوطة تستحق النعت من لدن المؤرخين المعاصرين بأنها أعظم رحلة في تاريخ البشرية جمعاء.[2]

[1] المرجع نفسه، ص197.

[2] د. عبد الهادي التازي، الرحالة العرب والمسلمون: اكتشاف الآخر المغرب منطلقا وموئلا (أعمال ندوة)، وزارة الثقافة، الرباط، المملكة المغربية للنشر، الطبعة الأولى 2003، ص55.

الفصل الثالث:

الرحلة في الأدب الجزائري الحديث

ـالمبحث الأول: الرحلة عند البشير الابراهيمي
ـالمبحث الثاني: الابراهيمي و اللغة العربية
ـالمبحث الثالث:خصائص أدب الرحلة عند الابراهيمي من خلال رحلته الى باكستان

المبحث الأول:

أ-الرحلة عند البشير الإبراهيمي.

نبذة عن الإبراهيمي.

محمد البشير بن محمد السعدي بن عمر بن محمد السعدي بن عبد الله بن عمر الإبراهيمي نسبة إلى قبيلة عربية ذات أفخاذ وبطون تعرف بـ "أولاد إبراهم"، وهي إحدى قبائل سبع متجاورة في سفوح لأطلس الأكبر الشمالية المتصلة بقمم جبال أوراس من الجهة الغربية، وكل ذلك واقع في مقاطعة قسنطينة من القطر الجزائري، وتجتمع قبيلتنا مع هذه القبائل السبع في يحي بن مساهل ذي النسب الشريف المتواتر بالسماع الفاشي، والثابت عند أئمة النسابين أمثال الإمام عبد الرحمان الصباغ البجاوي صاحب كتاب الفصول المهمة، ويقع في عمود نسبنا خمسة من العلماء الأجلاء، عاشر في ما بين المائة التاسعة والمائة الثالثة عشرة للهجرة، وكلهم كتب عن هذا النسب وأثبته بالأدلة التاريخية الممكنة، وآخرهم جدي الأدنى الشيخ عمر الإبراهيمي وله في كتاب قرأته وأنا صغير، ومهما يكن من أمر هذا الشرف النسبي الذي ورثت عدم الاهتمام به من عمي الذي رباني وعلمني، مما لا شك فيه أن نسبنا عربي صميم، إن لم يكن في قريش فهو في هلال بن عامر، لأن موطننا الحاضر من المجالات الأولى التي كان لبني هلال فيها مضطرب واسع لأول هجرتهم من صعيد مصر في أواسط المائة الخامسة.

مولدي:

ولدت عند طلوع الشمس من يوم الخميس الرابع عشر من شوال عام 1306 هجرية الموافق للثالث عشر جوان 1889 ميلادية، سمعت ذلك من عمي الآتي ذكره وقرأته بخط جدي الأدنى على ظهر

كتاب من كتبه سجل فيه مواليد الأسرة ووفياتها، وفيها مواليد أخواتي اللاتي ولدنا قبلي، ولم يعش لوالدي من الذكور غيري.[1]

رحلتي إلى الحجاز:

وصلت من الجزائر إلى الحجاز سنة 1911 وعمري إحدى وعشرون سنة ملتحقا بوالدي الذي اتخذ المدينة قرارا له وأمرني بالالتحاق به، فمررت على القاهرة وأقمت بها ثلاثة أشهر، طفت فيها بحلف الدروس في الأزهر، وزرت شوقي الذي كنت راوية لشعره، وحافظ إبراهيم في مقهى من مقاهي القاهرة، والشيخ رشيد رضا في دار الدعوة والإرشاد، وجماعة[2] من علماء الأزهر، ثم ألقيت الرحال بالمدينة حيث استقر والدي، وعكفت على القراءة والإقراء، فكنت ألقي عدة دروس متطوعا وأتلقى عدة دروس في التفسير والحديث، وأعانتني تلك الحافظة على استيعاب أسماء الرجال وحفظ كتب كاملة في الحديث، وكنت أغشى ثلاثة مكتبات جامعة غنية بعشرات الآلاف من المخطوطات النادرة، مكتبة شيخ الإسلام ومكتبة السلطان محمود ومكتبة شيخنا الوزير التونسي مع مكتبات أخرى شخصية فبلغت منها غايتي حفظا واضطلاعا مدة خمس سنوات وشهور.[3]

انتقالي إلى دمشق:

كنت أنا ووالدي من المرحلين من المدينة إلى الشام في النصف الأخير من سنة 1916، فاستقررت بدمشق في حالة يرثى لها، واتصل بي إثر وصولي جماعة من أهل العلم والفضل، واتصل بي جمال باشا بواسطة عون من أعوانه هو نقيب الأشراف السابق يريدني على أن أخدم سياسيته بقلمي ولساني،

---

[1] د. أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، الجزء الخامس، الطبعة الأولى 1954-1964 بيروت، ص163.

[2] د. أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، الجزء الخامس، الطبعة 1، 1954-1964، بيروت، ص165.

[3] المصدر نفسه، ص166.

فتجافيت عن ذلك بتحايل لطيف، واتصل بي كثير من أصحاب المدارس الأهلية العربية، فقبلت التعليم عندهم لأقوم بحاجتي وحاجة والدي وأتباعنا، ثم حملني جمال على أن أكون أستاذا للغة العربية في "السلطاني" وهو المدرسة الثانوية الأولى بدمشق، وما كدت أباشر عملي فيها حتى ذهب جمال باشا ثم ذهب السلطان التركي بعده بقليل، وأصبح التعليم الرسمي كله عربيا، فأصبحت بذلك أستاذا للآداب العربية وتاريخ اللغة وأطوارها وفلسفتها بالمدرسة السلطانية الأولى، واطمأنت بي الدار إذ وقعت على وظيفتي الطبيعية، وتخرج على يدي في ظرف سنة واحدة جماعة من الصفوف الأولى هم اليوم في طليعة الصفوف العاملة في حقل العروبة.

رجوعي إلى الجزائر:[1]

رجعت إلى الجزائر في أوائل سنة 1920على نية القيام بعمل علمي يعقبه عمل سياسي، فوجدت الجو أصلح مما تركته سنة 1911، بسبب تأثير الحرب وويلاتها في النفوس، ولكن الاستعداد في الأمة لم يكن كافيا للقيام بعمل يعتمد عليها، فاتفقت أنا وجماعة من إخواني العلماء الأحرار على أن نبتدئ بإكمال الاستعداد في الأمة وقررنا الوسائل المؤدية إلى ذلك، وكان الجهد شاقا والنتائج بطيئة، ولكننا صبرنا عشر سنوات مع مواصلة ذلك الجهد الشاق، وجاءت سنة 1930 حدا فاصلا بين الماضي والحاضر، ففيها تم الاحتلال الفرنسي من العمر مائة سنة، وأقامت فرنسا المهرجانات ابتهاجا بذلك، وسخطت الأمة العربية الإسلامية على ذلك، ورأت في بعض مواد المهرجان إهانة سافرة لها وامتهانا لمجدها وجرحا لكرامتها وافتراءا على تاريخها، واستغللنا نحن ذلك كله في إثارة نخوتها وإيقاظ

[1] د. أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، الجزء الخامس، الطبعة 1، 1954-1964، بيروت، ص166.

إحساسها وإكمال استعدادها للعمل، وفشلت تلك المهرجانات بأعمالنا وبعوامل أخرى خارجية، وخسرت فرنسا آمالها المرجوة منها كما خسرت الأموال الطائلة التي أنفقت عليها.[1]

رحلتي إلى الشرق:

في يوم 7 مارس سنة 1952 خرجت من الجزائر إلى الشرق في رحلة منظمة البرنامج واضحة القصد، وأقمت في القاهرة أسبوعا ثم سافرت إلى باكستان فأقمت بها قريبا من ثلاثة أشهر استوعبت فيها زيارة المدن الباكستانية من كراتشي إلى كشمير وما بينهما، وألقيت في هذه المدن نحو سبعين محاضرة في الدين والاجتماع والتاريخ وأمراض الشرق وعلاجها، ثم رحلت عنها إلى العراق، فاستوعبت مدنها من البصرة إلى حدود تركيا وإيران من جبال الأكراد، وألقيت فيها عشرات المحاضرات الاجتماعية والدروس الدينية، ثم رحلت عنها بعد نحو ثلاثة أشهر إلى الحجاز في حج سنة 1952 نفسها، وألقيت كثيرا من المحاضرات والأحاديث، ثم رجعت إلى القاهرة يوم 24 أكتوبر من تلك السنة، ثم ترددت منها على العراق والحجاز وسوريا والأردن والقدس مرات متعددة وألقيت في جميعها كثيرا من المحاضرات.

المرحلة الأخيرة:

وهي تلك التي عاد الإبراهيمي فيها إلى وطنه بعد استعادة الاستقلال حتى وفاته في 20 مايو 1965. وخلال هذه المرحلة اضطر إلى التقليل من نشاطه بسبب تدهور صحته من جهة وبسبب سياسة الدولة التي شعر أنها زاغت عن الاتجاه الإسلامي.[2]

---

[1] د. أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، الجزء الخامس، الطبعة 1، 1954-1964، بيروت، ص167.

[2] د. أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، الجزء الخامس، الطبعة 1929-1940، بيروت، ص13.

المبحث الثاني:

ب–الإبراهيمي واللغة العربية.

أحب الشيخ الإبراهيمي اللغة العربية إلى حد التعصب، ولعل بعض السبب في ذلك، يرجع إلى ظروف نشأته في بيت علم، وتتلمذ في جميع مراحل دراسته، على يد شيوخ من ذوي الثقافة العربية التقليدية ذات الطابع الديني، سواء داخل الوطن أو خارجه. فقد شب الرجل وشاب على العربية وحدها، إذ يقول: "... وأنا لاحظ لي في شيء من هذه اللغات، ولم يفتق الله لساني إلا بالعربية، وأنا راض بهذا..."[1]، وإذا كان تعليمه مركزا على العلوم الدينية، فإن ذلك يستوجب –بالضرورة– التعمق في لغة العرب شعرا ونثرا، ففهم النصوص الإسلامية والغوص في مدلولاتها هو الأمر الذي دفع الإبراهيمي إلى التفقه في العربية، ومعرفة أسرار الجمال فيها، فازداد تعلقا بها، إذ يقول – مخاطبا أعضاء مجمع اللغة العربية بالقاهرة، بمناسبة انتخابه عضوا عاملا به– "... أيها الإخوة: لقد كنا معشر المشغوفين باللغة العربية، الهائمين بحبها في كل واد، نتتبع أعمال هذا المجمع باهتمام، ونلقف كل ما يقوله أو يقال عنه، فنبحثه في مجتمعاتنا الخاصة بإنصاف، ونستعرضه فصلا فصلا، وكلمة كلمة..."[2]

وفي الخطاب نفسه، يشير الإبراهيمي إلى أن واجب المجمع، يفرض القيام بعملية توسيع اللغة العربية، بإدخال المصطلحات العلمية والحضارية، ولكن بطريقة علمية تعتمد النحت والقياس والاشتقاق، فلا تدخل اللفظة إلى اللسان العربي، إلا إذا تزيت بالزي العربي، وانسجمت مع قواعد اللغة العربية،

[1] آثار الإبراهيمي، ج4، ص33.

[2] مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، سنة 1963، ج12، ص114.

حيث يقول: "...ونستحسن تلك الأفكار الجريئة، في توسيع دائرة النحت والقياس والاشتقاق، التي كان المجمع يتناولها بالتمحيص إلى كثير من حسناته ومزاياه..."[1]

ويظهر تعصبه للعربية حين يقول: "...وأشد ما كنا ننكر من أعماله (المجمع) استعانته بالمستشرقين في شأن هو من خصائص الأمة العربية... وما كنا نقبل فيه عذرا ولا نتسامح فيه فتيلا...، ولقد كنا نستسيغ الاستعانة بالأجنبي في بناء سد، أو مد سكة، أو تخطيط مدينة، مما سبقنا إليه الأجانب وبرعوا فيه، أم الاستعانة بهم في شأن يخصنا كاللغة... فلا... ومتى رأينا مستشرقا بلغ في العربية وفهم أسرارها ودقائقها ومجازاتها وكنايتها، ومضارب أمثالها ما يبلغه العربي في ذلك كله ؟... على أن بعض أولئك المستشرقين الذين كانوا أعضاء بهذا المجمع، كانوا مستشارين في وزارات الخارجية من بلدانهم، وهذا قادح آخر، يضاف إلى قادح قصورهم في اللغة العربية..."[2]

فقد قضى معظم حياته معلما ومربيا ومرشدا، متنقلا بين الجزائر والحجاز ودمشق ومصر، أما في الجزائر فمنهم من تتلمذ عليه مباشرة، ومنهم من تتلمذ على كتاباته في جريدة البصائر، تلك الكتابات التي شكلت إطار المدرسة المحافظة... في الأدب العربي الجزائري الحديث، من حيث الأشكال والقوالب التعبيرية.[3]

ذلك كله يجعله يتمكن من اللغة العربية، ويطلع على أسرارها وفلسفتها، ويغدوا من كبار علمائها لا في الجزائر فحسب، بل في العالم العربي كله.

فلا غرابة أن يكون أسلوبه في الكتابة يتميز بالخصائص التالية:

---

[1] المصدر نفسه، ص114.

[2] مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، سنة 1963، ج12، ص114.

[3] عبد الملك مرتاض فنون النثر الأدبي في الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائري، ص1983، ص312.

– محافظ متأثر بمدرسة الصنعة اللفظية التي تعني باختيار الألفاظ وتزيين العبارة بألوان البيان والبديع دون إهمال المعنى.

– اعتماد الاقتباس والتضمين بكثرة وذلك بسبب تشبعه بالثقافة العربية الإسلامية، وحفظه لأغلب المتون الموجودة في وقته لغة وأدبا وبلاغة.

– توظيف الصور البيانية والمحسنات البديعية بكثرة في كتاباته المتنوعة، ولكن ليس ذلك من باب التكلف، وإنما باعتبار أن أسلوبه امتداد لمدرسة الصنعة اللفظية، حيث ينتقي ألفاظه من القاموس اللغوي القديم.[1]

[1] عبد الملك مرتاض فنون النثر الأدبي في الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائري، ص1983، ص324.

المبحث الثالث:

ج- خصائص أدب الرحلة عند الإبراهيمي من خلال رحلته إلى باكستان

قام الإبراهيمي برحلات إلى الأقطار الإسلامية سنة 1952م، وأبى أن يستأثر وحده بتلك المشاهدات والمعلومات، فسجل ما شاهده وما سمعه عبر هذه الرحلات في مذكرات، ليستفيد منها القارئ العربي – على حد تعبيره –[1] بيد أن المنشور من هذه المذكرات لا يستوفي حتى المرحلة الأولى من الرحلة، وهي باكستان التي كانت نقطة البداية في برنامج رحلته[2]، وأول ميزة تبرز في أسلوبهذه المذكرات منذ البداية، هي ميزة الإجمال ثم التفصيل، حيث يجمل الكاتب فيالمقدمة، بواعث رحلته بإيجاز،[3] ويحددها في النقاط الآتية:

1) دراسة أحوال المسلمين في مواطنهم.
2) الاتصال المباشر برجال الدين.
3) دراسة أحوال الحكومات الإسلامية.
4) دراسة نفسية شباب الأمم الإسلامية.[4]
5) التعريف بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين.
6) التعريف بالجزائر، والشمال الإفريقي كله.[5]

---

[1]آثار الإبراهيمي، ج4، ص16.

[2]المصدر نفسه، ص22.

[3]المصدر نفسه، ص10-12.

[4]يشبه الإبراهيمي في هذه البواعث، الأديب الرحالة اللبناني، أمين بن فارس الريحاني (1876-1940م) الذي تجول في البلدان العربية، متعرفا عن كثب إلى طبيعتها وسكانها وحكامها بغية إصلاح شؤون سياسة العرب، وجمع كلمتهم وتوحيد صفوفهم.

[5]آثار الإبراهيمي، ج4، ص10-12.

والإبراهيمي —في هذا النوع من الكتابة النثرية– رحالة أديب، دقيق الملاحظة والتصوير والتسجيل يهتم بكل ما يراه أو يسمعه، يسجله بتفاصيله وجزئياته، مع عناية كبيرة بالصياغة، إذ يقول: "وصلنا مطار كراتشي، وهو مطار عظيم واسع مستكمل المرافق والشروط، وقد أصبح ذا أهمية عظيمة في وصل الشرق بالغرب، وهو يبعد عن المدينة بنحو ثمانية عشر كيلو مترا، ونزلنا، فوجدت في انتظاري، سماحة الأستاذ الأكبر الحاج محمد أمين الحسيني مفتي فلسطين، والأستاذ عمر بهاء الدين الأميري وزير سورية المفوض بباكستان، وولدنا الأستاذ الفضيل الورتلاني، وإنعام الله خان، والدكتور الزبيري، وجماعة من رجال مؤتمر العالم الإسلامي، وأنزلوني في فندق (ميطروبول) أعظم فنادق باكستان كلها، وكراتشي فقيرة في الفنادق، ليس فيها من فنادق الدرجة الأولى إلا اثنان، وبقية الفنادق من الدرجة الثالثة والرابعة عندنا، والسبب في ذلك أن عمرانها المدني جديد، وقد كانت قبل الانفصال ميناء تجاريا، وما أخذت مكانتها الجديدة إلا بعد أن أصبحت عاصمة، وأصبحت في كراتشي يوم الجمعة الحادي والعشرين، فخف لزيارتي من لم يسعه استقبالي في المطار، ومنهم..."[1] وبعد أن يذكر بقية أسماء الشخصيات الذين خفوا لزيارته في اليوم الثاني من وصوله، ومنهم الشاعر اليمني محمد محمود الزبيري وزير المعارف في حكومة الانقلاب اليمني، يستطرد الشيخ في وصف شاعرية الزبيري، وكأن ذلك من تمام وصف الرحلة، حيث يقول: "...وهو أديب رقيق حواشي الطبع، سليم دواعي النفس، جياش الشاعرية لو وجد لها متنفسا، ولكن للشاعرية رحما يصلها الواصلون للأرحام، ولقد وجدت شاعرية الزبيري وصالا للرحم، وهو يصلها الوزير عمر بها الدين الأميري، فجمعت بينهما خلال كثيرة، كلاهما شاعر رقيق حساس، وكلاهما يعتمد في شعره على السليقة لا على الصنعة، وكلاهما مؤمن صادق متعبد متصل بالله من طريق المحافظة على الصلاة لأوقاتها، فجمعت بينهما كراتشي بعد أن جمعت بينهما تلك الخلال، وكان كل واحد منهما أنسا وكمالا لوجوده، وتطارحا الشعر، فكان كل

[1] آثار الإبراهيمي، ج4، ص24.

واحد منهما مذكيا، لقريحة صاحبه، وصدرت عنهما بدائع في الجد والهزل والمباسطات، وقد استحكمت صلتهما بي من أول لحظة، فأطلعاني على كل ما بينهما من هذا النوع الذي كان يسمى (المراجعات) ونزلا عن ذوقهما فيها لذوقي، حتى في تصحيح الكلمات والتراكيب، ثقة منهما بي، حفظهما الله، فأشهد لوجه الأدب أنهما شاعران، تتحد في شعرهما ميزة السلاسة والرقة وخصب الخيال، وتوحد بينهما الروحانية والمزاج الديني القوي، وقد لازماني على طول مدة إقامتي في كراتشي، واقترحت عليهما تحكيك شعرهما، وعدم الاكتفاء بفيض الخاطر، فإن فعلا ونشرا شعرهما بعد ذلك ليكونن منه مزيد في ثورة الأدب"[1] ولعل الإبراهيمي يبغي من الإشارات في أدب الرحلات تكثير المعلومات وتغيير الموضوعات دفعا للملل عن القارئ، وجعله يستفيد من المعلومات، ويتمتع بتنويع الصور والمناظر في آن واحد، وكأنه أمام شريط سينمائي تتابع فيه الصور والمناظر الجذابة، ويعود الإبراهيمي بعد الاستطراد إلى موضوعه، مواصلا الحديث عن الرحلة فيقول: "وصلينا الجمعة في اليوم الأول، في مسجد قريب من الفندق، مع الوزراء الثلاثة عبد الحميد الخطيب (وزير المملكة العربية السعودية المفوض)، والدكتور عبد الوهاب عزام (سفير مصر بباكستان)، والأميري وسماحة المفتي الأكبر، وولدنا الفضيل. وقد كبر في صدري شأن هؤلاء الوزراء، ورأيت عز الدين كيف يعلوا على عز الجاه والمنصب، وأعظمت فيهم هذا السعي الحثيث إلى ذكر الله، في وقت بدأ فيه التحلل الديني من أمثالهم..."[2] وهكذا في كل مرة يخرج عن موضوع الرحلة إلى الاستطراد ليفضي بما في نفسه، من نصح أو تنبيه أو معلومات تفيد القارئ وتزيد في توسيع مداركه و ما يقدمه لزائر باكستان من نصائح ومن مفردات لغوية تعين الزائر على قضاء بعض مآربه في يومه الأول حيث يقول الإبراهيمي: "يجب على زائر باكستان كيفما كان قصده، أن يكون ملما –قدر حاجته– بواحدة من لغتين: الأوردية أو الانجليزية، فإن كان

[1] آثار الإبراهيمي، ج4، ص34-35.

[2] المرجع نفسه، ص35.

جاهلا بهما مثلي ضاعت مصالحه في الناس، ومصالح الناس فيه، ووجد نفسه أعجميا بين أعراب..."[1] وبعد أن يورد الكاتب، طائفة من الألفاظ الأوردية مترجمة إلى العربية، يخوض في الحديث عن اللغة الأوردية، متعمقا في أصولها وفروعها وظروف نشأتها وتكوينها، بأسلوب السرد العلمي وبلغة تقريرية، حيث يقول: "وأغلبية المسلمين في الهند اليوم تصطنع اللغة الأوردية نسبة إلى الأوردو، لفظة تركمانية مغولية معناها الجيش، وهي لغة حديثة، تكونت بين الجيوش المغولية الفاتحة، من لغاتهم الأصلية أو من لغات الإسلام الشائعة إذ ذاك، وهي العربية لغة الدين والأدب، والفارسية لغة الفن والرقة، والتركمانية لغة الجندية والحرب. وكان مبدأ تكونها في مناطق مخصوصة من مقاطعات يوبيولكنو، ثم توسعت وعمت... وقواعدها التركيبية قريبة من قواعد الفارسية ولكنها أصعب منها، وهي بعيدة جدا عن التركيب العربي، فتكثر فيها الروابط اللفظية، مثل هي ومي وكي وكاوكو، وتكتب بالخط الفارسي الجميل، ويزيدون على بعض الحروف علامات مخصوصة، لتؤدي المخارج القريبة الزائدة على المخارج العربية والفارسية،... ولتعدد هذه المخارج أصبحت حروفها نحو أربعين حرفا، هي الحروف العربية المعروفة، ويزيدون على بعضها علامات..."[2] وتظهر براعة الكاتب في حسن التخلص والانتقال من حديث إلى حديث. فقد قضى الأسبوع الأول من وصوله إلى كراتشي بين الشخصيات العربية، من ممثلي الدول العربية بباكستان. فكان جو اللقاءات والأحاديث، عربيا خالصا، لم يشعر فيه بغربة —ولكن دوام الحال من المحال- فكل جمع إلى افتراق، يقول الإبراهيمي: "وكل جمع إلى افتراق، فما تم في ذلك الأسبوع الزاهر الذي خففت عنا مجالسه وطأة حرارته، حتى بدأت الخيام تقوض، وأصبح الذاهب من الأيام والرفاق لا يعوض...ورأيت أن ذلك الأسبوع كان استجماما من نصب السفر، وقد أن لي أن أبدأ العمل، الذي من أجله قدمت، وفي سبيله أقدمت، هنا تجلت المعضلة، وحلت

[1] آثار الإبراهيمي، ج4، ص32-33.

[2] المصدر نفسه، ص30.

المشكلة، مشكلة اللغة التي هي وسيلة الفهم والتفاهم. فلنتحدث عليها..."[1] ويميل إلى الأسلوب الفكه الذي يروح عن القارئ، ويجدد نشاطه وشوقه في المتابعة، حيث يقول: "يزورني الزائر عن قصد وشوق، فلا يزيد على السلام عليكم وعليكم السلام... فإذا جاوزتها، لم يفهم ما أقول، وأطلب الخادم لحاجة فيسكت وأسكت، وألتجئ إلى الإشارة فلا تفيد، ... ويهتف التليفون من سائل مشتاق يريد مني تحديد وقت للزيارة، فيبدأ الخطاب بالانجليزية فأقول: لا أفهم، فيثني بالأوردية لأنه فهم بالقوة، أني لا أفهم الإنجليزية فأقول: لا أفهم، فيكرر الخطاب ولا أدري أهو بالأولى أم الثانية فأعتصم بلا أفهم..."[2] وقد تتوق نفسه إلى السجع، فيسوق الفكاهة في قالب مسجوع إذ يقول: "...وقد حملني الغضب مرة على أن ألقيت على واحد من مخاطبي في التليفون خطبة عربية أنيقة، قلت له يا سيدي لست من العظماء حتى تتعب نفسك بهذه المراسيم، ولو كنت منهم لكان لي ترجمان، عيناه بالشرر ترجمان، أو خادم يدفع عني الأوادم، أو سكرتير يعامل مثلك بالتقتير، ولكني رجل بسيط كالسمسار أو الوسيط، فزرني من غير إعذار، أو اغزني من دون سابق إنذار، وهلم نتعانق نتعانق وتقضي حواجبنا الحوائج بيننا... فقال لي كلمة فهمت منها، أنه يأسف لأنه لا يفهم العربية..."[3] والكاتب في هذه المذكرات لا يهتم بعرض الأحداث والوقائع فحسب، وإنما يدرسها ويحللها، ليتبين أسبابها وعلاجها، يتضح ذلك في حديثه عن تفرق المسلمين بباكستان إلى طوائف متنافرة حيث يقول: "...فكل واحد من هؤلاء يسعى لبناء مسجد يصلي فيه هو وأتباعه، ويزين هؤلاء الأتباع أن لا يصلوا في مسجد آخر، ولا خلف إمام آخر، وقد رأين مسجدين بينهما شارع تقريبا، وكل واحد منهما مخصوص بطائفة، وكفى بهذا مفرقا لكلمة المسلمين، وقد أنكرت عليهم هذا في بعض محاضراتي إنكارا عنيفا، وقلت لهم: إن المساجد لله، وأنها جامعة لا مفرقة، وأنه لا يحسن تعددها، إلا تعدد المحلات وتباعدها، لا تعدد

[1] آثار الإبراهيمي، ج4، ص27.

[2] المرجع نفسه، ص33.

[3] المرجع نفسه، ص33.

العلماء واختلاف نزعاتهم، وأنه ما شتت شمل المسلمين إلا ملوك الطوائف، ومساجد الطوائف..."[1] وفي رحلته من كراتشي إلى كشمير وراولبيندي بالقطار، أثار الغبار المتطاير وراء القطار انتباهه حيث يقول: "...ولكن تهيل هذه الأتربة وخفتها بسبب الحر، هي التي سهلت إثارتها بأدنى محرك بدليل سكونها في آخر الليل، حينما بردت فثقلت ولا دواء لهذه العلة إلا تشجير هذه السهول الواسعةبالغابات المثمرة، وغير المثمرة وبالبقول والبرسيم والإلحاح عليها فماء السقي حتى تسكن وتستقر، ثم زرع نبات (النجم) على حفافي السكة،فلا يقهر هذه الأتربة غيره..."[2] ويظهر عمق الدراسة حينما يتغلغل الكاتب داخل الطبقات الاجتماعية، فيكشف عن نفسياتها، حيث يتحدث عن الطبقة المثقفة فيقول: "إن هذه الطبقة المثقفة في باكستان ما زالت على شيء من التماسك مع الأجيال السابقة، في الخصائص الموروثة وما زالت على بقية من احترام الدين...إن روحهم إسلامية، وإنهم مطلعون على أصول الإسلام وتاريخه وأبطاله، ولاسيما السيرة النبوية والصحابة وآثارهم وخصائصهم..."[3].

ولا تخلوا هذه المذكرات من أسلوب المقارنات، ومن الأمثلة على ذلك قوله في معرض حديثه عن انشغال الباكستانيين بوضع دستورهم سنة 1952م حيث يقول: "...والمثقفون يريدونه دستورا مدنيا مقتبسا من حالة الأمة وتقاليدها، محققا لرغائبها وضروراتها، ولا يتحمسون فيما بدا لي للاستعارة من الدساتير الأجنبية كما فعل المصريون والأتراك الكماليون..."[4] ومن المعلومات التي يستفيد منها قارئ هذه المذكرات –وهي كثيرة جدا– هذه المعلومات الجغرافية والتاريخية عن كراتشي، حيث يقول: "...كانت كراتشي قبل الانفصال، ميناء تجاريا تربطها بالهند كله سكة حديد مزدوجة، وتعمرها عناصر مختلفة، أغلبها من غير المسلمين، إما من الهندوس وهم الأكثر، وإما من المجوس وهم قليل،

---

[1] آثار الإبراهيمي، ج4، ص40.

[2] المرجع نفسه، ص56.

[3] المرجع نفسه، ص43.

[4] المرجع نفسه، ص43.

وإما من الشيعة الآغاخانية وهم الأقل، وهذه الطوائف الثلاث من أنشط خلق الله في التجارة والتمرس بأساليبها... لأن السنود من أبعد الناس عن التجارة وممارستها، وإنما يقومون فيها بوظيفة العملاء، المستهلكين، أو العمال والجمالين، والفلاحون منهم أشبه بفلاحينا في الجزائر، يكدحون لمصلحة الهندوس الذين يعاملونهم بالربا الفاحش..."[1] ثم يصف طريقة الفلاحة فيقول: "...وكيفية الفلح ما زالت بدائية عتيقة، تعتمد على الجاموس في الحرث والدرس..."[2]. كل ذلك يسوقه بأسلوب إخباري مباشر، يعتمد على التسجيل والواقعية، والوضوح في اللغة وفي التراكيب. ومن ذلك قوله أيضا واصفا رحلته بالقطار من كراتشي إلى راولبيندي، "...وصلنا إلى راولبندي على الساعة الثالثة بعد ظهر يوم الأربعاء، سادس عشر أفريل، فنكون قد قطعنا المسافة في ثلاثين ساعة متتابعة، لم يتخللها نزول ولا راحة... قطعنا ألفا وخمس مئة كيلو متر في سهل واحد، ليس فيه جبال ولا رواب إلى مدى ما تنتهي إليه العين، ومما يؤسف له، أن هذه السهول، كلها خصبة التربة، وتشقها أنهار البنجاب العظيمة... ومع ذلك كله...فإن المساحات الواسعة منها مازالت بورا..."[3]

ولكن الكاتب تجذبه الطبيعة الخلابة –بعد ذلك– فيخرج من عالم الواقع والسرد، إلى عالم التخيل والإنشاء الوصفي وما يستدعيه ذلك من أدوات بيانية، ومزج بين الكاتب والطبيعة، فيقول واصفا: "واستقبلنا صفحات أخرى من قمم وغابات...وحقول قمح وشعير تظهر كالسطور في اللوح لضيقها واستطالتها وتدرجها من أعلى إلى أسفل، وقد يبتدئ أول سطر من أعلى جبل وينتهي آخر سطر في حافة الوادي،...لكأنك ترى فيه ميزانا (تيرموميطر) إليها بديعا لدرجات الحرارة..."[4]

---

[1] آثار الإبراهيمي، ج4، ص43.

[2] المرجع نفسه، ص43.

[3] المرجع نفسه، ص39–56.

[4] آثار الإبراهيمي، ج4، ص58.

خاتمة:

بعد جهد جهيد وجدتني أخيرا أقف على خاتمة هذا البحث وقد أشرت من خلالها إلى الأفكار التي توصلت إليها وهي على النحو الآتي:

1. الاختلاف الذي لاحظته في الرحلات بمختلف اتجاهاتها وتنوع المعالم الحضارية في مختلف بلدان العالم التي صورتها وعكست أحوال المجتمعات وعاداتها.
2. ازدهار الرحلات وتنوعها بين العرب والغرب إذ جمع بين هذين العالمين فن أدبي مشترك.
3. ظهور فن أدبي جديد سمي بأدب الرحلة بعدما كان رحلات جغرافية وتاريخية يقصدها الرحالة للحصول على معلومات عن تلك البلاد أي لهدف علمي.
4. تطور فن الرحلة إلى نوع أدبي ذو طابع وأسلوب خاص به، إذ يختلف هذا الجنس السردي عن باقي الأجناس الأدبية.
5. اتخاذ الرحلات العربية القديمة المشهورة كرحلة ابن بطوطة وابن جبير كمثال يدرس في هذا الفن الأدبي الذي يتمتع بمقومات أدبية ويطفح بمعايير جمالية.
6. ظهور الرحلة الجزائرية على يد أحد مشايخها محمد الإبراهيمي الذي روج لهذا الفن وساهم في ظهوره في الجزائر بمشكل كبير واعتبر من رواد فن أدب الرحلة الجزائري.
7. ضياع الكثير من هذا الفن الأدبي واندثاره في فترة عرفت الكثير من النقوص رغم وجود البعض منه مخطوطا لم ير النور بعد.
8. عودة النشاط للرحلات الجزائرية مرة أخرى في القرن الحديث وميزها بذلك ظهور معظمها في جرائد ومجلات سواءا كانت رحلات داخلية أو خارجية.
9. كشفت عن تباين في المستويات والثقافات بالنسبة للرحلة إلى البلاد العربية وإلى الغرب حيث أظهرت رحلات القرن الحديث صدمة حضارية جراء المقارنة بين المستوى المحلي والمستوى الأوروبي.

قائمة المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم**

I. المصادر:

1) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، دار الفكر، (د ط – د ت).

2) أبو الحسن محمد الحمد بن جبير الكناني الأندلسي، رحلة ابن جبير، اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك، دار صادر، بيروت، (د ط – د ت).

II. المراجع:

1) أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد، رسالة ابن فضلان، المطبعة الهاشمية 1379هـ/1960م، دمشق، تحقيق د. سامي الدهان.

2) أحمد رمضان، الرحلة والرحالون المسلمون، دار البيان العربي للطباعة والنشر والتوزيع، (د ط – د ت).

3) أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، ج5، ط1، بيروت، 1997.

4) أسماء أبو بكر، ابن بطوطة: الرجل والرحلة، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت 1992.

5) جمال الدين فالح الكيلاني، الرحلات والرحالة في التاريخ الإسلامي، دراسة تاريخية، دار الزنبقة للطباعة والنشر، القاهرة، 2014.

6) الحسن الشاهدي، أدب الرحلة بالمغرب في العصر المريني، منشورات عكاظ، الجزء الأول، 1990م.

7) حسين محمد فهيم ، أدب الرحلة عند العرب، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، مكتبة الإسكندرية، الطبعة الثانية 1403هـ/1983م.

8) حسين محمود حسين، أدب الرحلات، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت 1989.

9) رحاب خضرة عكاوي، موسوعة عباقرة الإسلام في الطب والجغرافيا والتاريخ والفلسفة، دار الفكر العربي بيروت الجزء الثاني، الطبعة الأولى، 1993.

10) زكي محمد حسن، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، دار الرائد العربي بيروت لبنان، 1401هـ/1981م.

11) سميرة أنساعد، كتاب الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري دراسة في النشأة والتطور، دار الهدى عين مليلة، الجزائر، دون طبعة، عامة 2009.

12) سعيد بن سعيد العلوي، أوروبا في مرآة الرحلة، صورة في أدب الرحلة المغربية المعاصرة، منشورات كلية الأدب بالرباط الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، الطبعة الأولى 1415هـ/1995م.

13) سيد حامد النساج، أدب الرحلات في حياتنا الثقافية، مجلة العربي عدد رقم 1338 يناير 1987 الكويت.

14) شوقي ضيف، الرحلات، دار المعارف، ط4، القاهرة، 1956.

15) شعيب حليفي، الرحلة في الأدب العربي، التجنس، آليات الكتابة، خطاب المتخيل، دار رؤية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى القاهرة 2006.

16) عبد الرحمن حميدة، أعلام الجغرافيين العرب، دار الفكر بدمشق، الطبعة 01/ 1984م.

17) عبد الملك مرتاض فنون النثر الأدبي في الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائري، ص1983.

18) عبد الهادي التازي، الرحالة العرب والمسلمون: اكتشاف الآخر المغرب منطلقا وموئلا (أعمال ندوة)، وزارة الثقافة، الرباط، المملكة المغربية للنشر، الطبعة الأولى 2003.

19) علي إبراهيم الكردي، أدب الرحلة في المغرب والأندلس، الهيئة العامة السورية للكتاب الطبعة الأولى، 2013م، دمشق.

20) عواطف بن محمد يوسف نواب، الرحلات المغربية والأندلسية، مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين، دراسة تحليلية مقارنة، مكتبة فهد الوطنية، د ط، الرياض، 1996.
21) عواطف بنت محمد يوسف نواب، كتب الرحلات في المغرب الأقصى مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين، دار الملك عبد العزيز، الرياض 1429هـ/2008م.
22) فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، مكتبة الدار العربية للكتاب، ط2، 2002م.
23) كمال بن محمد الريامي، مشاهير الرحالة العرب، كنوز للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 1434هـ/2013م.
24) مجدي وهبة، معجم المصطلحات العربية ي اللغة والأدب، كامل المهندس للناشر مكتبة لبنان، الطبعة الثانية 1984م.
25) محمد بن سعود الحمد، موسوعة الرحلات العربية والمعربة المخطوطة والمطبوعة، معجم ببليوجرافي، فهرسة دار الكتب والوثائق القومية أثناء النشر، الطبعة الأولى 1428هـ/2007م.
26) محمد المهداوي، البشير الإبراهيمي نظاله وأدبه، دار الفكر دمشق، سوريا، 1988م.
27) ناصر عبد الرزاق الموافي، الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، دار النشر للجامعات المصرية، مكتبة الوفاء، الطبعة الأولى 1415هـ/1995م.
28) نوال الرحمن الشوابكة، أدب الرحلات الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري، دار المامون للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة الأولى 1428هـ/2008م.

III. الرسائل الجامعية:

1) عيسى بخيتي، أدب الرحلة الجزائري الحديث، سياق النص وخطاب الأنساق، أطروحة الدكتوراه، علوم الأدب الجزائري الحديث، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان 2015م/2016م.

2) يسمينة شرابي، الموروث الثقافي في أدب الرحلة الجزائري، نماذج من رحلات القرن العشرين، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في اللغة والأدب العربي، جامعة أكلي، محند أو الحاج البويرة 2012م/2013م.

IV. المجلات:

1) مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، سنة 1963، ج12.

2) عبد القادر شريف بموسى، الشرق بمنظار الغرب كتابات الرحالة الأوروبيين أنموذجا، مجلة فكر الثقافية، العدد 12، أغسطس، أكتوبر 2015.

3) فردوس أحمد بت (الباحثة)، أهمية أدب الرحلات من الناحية الأدبية، مجلة اللغة، الكتاب الثاني، العدد الثاني، يناير مارس 1437هـ/2016.

4) ناصر محمد الزمل، افتتاحية مسيحيون في مكة المكرمة، الرحلات والاستشراق في الجزيرة العربية. مجلة الفكر الثقافية، العدد 12، أغسطس – أكتوبر 2015.

ملخص:

تناول هذا البحث موضوع أدب الرحلة في الأدب الجزائري الحديث، ويعد هذا النوع من الأدب جديدا في الدراسات الأدبية بشكل عام، وفي الأدب الجزائري بشكل خاص.

وقد تضمن هذا البحث أدب الرحلة عند الشيخ البشير الإبراهيمي، من خلال رحلته إلى دولة باكستان حيث تحدث عن أسباب وبرنامج رحلته وأسلوبه في تصوير هذه الرحلة وقبل ذلك أشير إلى نشأة هذا الأدب عند العرب وعند الغرب.

الكلمات المفتاحية:

- الرحلة -الأدب الجزائري - البشير الإبراهيمي - العرب -الغرب اللغة.

Résumé

Nous expose la littérature du voyage dans la littérature algérien moderne

Parmi les grands monsieurs de ce feure de littérature, il faut citer le savant « El Cheikh El Bachir El Ibrahimi » a travers son voyage au Pakistan .

Dans le but de faire plus simple connaissance, ce document comprend d'une part et tout en commençant par ce feure de littérature chez les arabes et l'occident; d'autre part les raisons, le programme du voyage et le style de l'auteur réalisé dans ce travail

Point clées

-Voyage -littérature Algerienne

-El bachir el ibrahimi -Arabes

-L'occident -Langue

Abstract

Covers the literature of voyage in algerian modern literature .

As a highly qualified and exprienced arientist and teacher, Mr Mohamed El Bachir El Ibrahimi was a model of visiters of this kind of literature in algeria.

This work includes true rewarkable obility of this visiter to realise such a nouvel in this genre through his voyage to Pakistan word lets us mangate on the pround by proving us whith information about the reasons programme our style an enjoyable nouvel this heird of literature in arabic western lit.is presitioned at the befining of this work.

-Kez words

-Voyage - Algerian literature

-El bachir el ibrahimi - Arabs

-West - Language